بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بحث:

محمّد شَحرور وقراءته المعاصرة للقَصص القرآنيّ

خلق آدم واصطفاؤه أنموذجاً

عرض ونقد

د. خلود "محمّد أمين" محمود الحُوَّاري

أستاذ مشارك– تخصّص التّفسير وعلوم القرآن

كليّة الآداب – قسم الدّراسات القرآنيّة

جامعة طيبة

المملكة العربيّة السعوديّة

١٤٤٢ هـ –٢٠٢٠ م.

ملخص البحث: قصدت هذه الدّراسة إلى الانتصار للقرآن؛ بنقد القراءة المعاصرة للقصص القرآنيّ عند محمّد شحرور، وكشف ما فيها من أخطاء منهجية، ومغالطات علمية، وردّ ما انطوت عليه من شُبه وإشكالات، ومَيز بين ما رفعه من شعارات التجديد والتنوير، ومنظومات ملفقة: من مذاهب باطلة، ونظريات بائدة؛ هجرها مريدوها، وذلك من خلال نماذج لما يُسمى بقراءته المعاصرة لقصّة آدم عليه السّلام، وهي: خلق آدم عليه السّلام واصطفاؤه.

وقد سلكت هذه الدّراسة، في سبيل تحقيق ذلك، المنهج الوصفي؛ للتعريف بشحرور، وعرض أسس قراءته المعاصرة للقصّة القرآنيّة، وعرض نماذج منها في قصّة آدم عليه السّلام، ثم التحليلي النقدي؛ لبيان ردّ هذه القراءة، ونقد وسائلها.

وقد خلصت الدّراسة إلى نتائج أهمها:

– ادّعى شحرور أن التنزيل الحكيم واضح في تقرير انتفاء الخلق الفجائي لآدم، وتأييد ما تبناه من مراحل ثلاثة في خلق الإنسان، هي: البشرية، والآدمية، والإنسانية، متبعاً وسيلة الإلحاد اللفظي في تحريف الكلم عن مواضعه، في آيات الخلق والتسوية والتعديل؛ لغاية إثبات دعواه. وكذلك في تفريقه بين الإنسان والبشر، واستدلاله بآيات البشر على الهمجيّة، ونقص العقل، وانتشارهم قبل الأَنسنة، في قراءة لنصّ لا وجود له. واستدلاله بتحكّم ظاهر، بآيتي الحج والمؤمنون، على وجود حقبة زمنيّة طويلة بين مراحل الخلق تلك.

– تبنى الكاتب، بضعيف حجج، ردت بالدليل، أنّ اصطفاء آدم، هو: اختياره، وتفضيله، على مجموعات البشر الأخرى، فهو بذلك أبو الإنسان، وليس البشر. وأنّ آدم عليه السّلام ليس نبياً، بل أنّه وذرّيته ليسوا على الإسلام والتوحيد؛ حيث جعل مبدأهما من نوح عليه السّلام. وأنّ آدم ليس شخصاً ذكراً، بل مجموعة بشرية تشمل الذكر والأنثى؛ لأنّ أصل الآدميين بشر، وأنّ الآدمية بدلالة مفردات: آدم، وبشر، وإنسان مرحلة وسيطة بين حدين، وتوفيقاً بين نهاية مرحلة همجية، وبداية مرحلة إنسانية، وكلها تشير إلى التّكيّف والتلاؤم مع المحيط الخارجي. وأنّ زوج آدم ليس أنثى –هي حواء– بل مجموعة بشرية تدعى (النياندرتال) تعلمت من مجموعة آدم الإنسان العاقل، ثمّ فنيت بعد حروب طاحنة بينهما.

– رأى الكاتب، ومن خلال قراءة مبتكرة لآيات الجعل والخلق، تسجيل التّنزيل الحكيم تغييراً في صيرورة حركة البشر؛ بتدخل إلهي بنفخة الروح، واستمرار هذه العملية زمناً طويلاً، وبتتبع آيات الروح والنفس؛ بأنه لا علاقة للروح ببعث الحياة بالجسد، ليصل أنّ الروح في قصّة خلق آدم ليست هي سرّ الحياة، بل سرّ الأَنسنة، وهي طفرة معرفيّة إدراكيّة، مرافقة لتطور بيولوجي، والتي تحول بها البشر المستوحش إلى إنسان اجتماعيّ.

– بيان ملامح واقع قراءة شحرور المعاصرة لآيات القصّة المستنبطة، من خلال الدّراسة النقديّة، لنماذج القراءة المعاصرة محل الدّراسة، ومنهجه فيها.

وانقدحت عن الدّراسة توصيات أهمها:

– التركيز على دراسة صور الإلحاد اللفظي في الآيات الكريمات، وتحريفها عن مواضعها، في كتب الحداثيين، دراسة محققة في رسائل علمية، وأبحاث محكمة.

الكلمات المفتاحية : محمّد شحرور، القصص القرآنيّ، القراءة المعاصرة.

المقدمة:

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجاً قيماً، والصّلاة والسّلام على أصرح الخلق عقلاً، وأقومهم منهجاً، وعلى صحابته الأفذاذ المتنورين، ومن سار بهديه وارتضى سنته إلى يوم الدّين، أمّا بعد:

فإيماناً بأن القرآن العظيم كتاب لا تفنى عجائبه، ولا يخلق على كثرة الردّ، يفيض بعلومه، وأسرار مكنونه، مادامت هذه الحياة على كل ناظر مبتغ الحق، ضانّاً على كل متبع هوى؛ يظنّ أنه في الحق رأساً، وتفريقاً بين اجتهاد مأجور، وجَهد مأزور، وحسن نية، وسوء طوية، وتجديد فكر، وتفلت من الثوابت، غَدت القراءة المعاصرة لقصّة آدم عليه السّلام عند محمّد شحرور دراسة نقدية، مقاماً للبحث، وقد أورد آراءه حول هذه القصّة في كتابه القصص القرآنيّ قراءة معاصرة، حيث كانت مفتتح كتابه، ومبتدأ تطبيقيه لما نظّره في هذا الكتاب، وكذلك تحدث عنها في بعض كتبه، وبرامجه الفضائية.

وقد لفتني، بعث محمّد شحرور من جديد؛ فلا زلت أذكر يوم كنت في بداية الطلب، حيث ما فتئ العلماء يركبون لجج التّصدي للكتاب الأم (الكتاب والقرآن قراءة معاصرة)، للمهندس المدني شحرور، في ردود مفحمة، بين: إطناب وإيجاز، واتهام سافر له بالعلمانية أو الماركسية، والتي لم يأبه الكاتب نفسه أن يثبت كثيراً من هذه الردود في موقعه الالكتروني الرسمي؛ ليوهم مريديه أنها أقوال ساقطة لا تستأهل رداً، ولا تؤثر فيما يسمى بالقراءة المعاصرة، بل وسمها صراحة بأنها غير جادة، وأنها لا تنقد مشروعه الكبير[1]، والحقّ أنها ردود علميّة، مشفوعة بالدّليل، والقرائن المنطقيّة، لم يقو شحرور على ردّها.

ومضت السنون، ومُكّن لشحرور أن يقذف بآرائه الناشزة هنا وهناك، في كتبه المتتابعة في القراءة المعاصرة، وفي محافل دوليّة، وظهور إعلاميّ نشط، في الفضائيات العربية! ومواقع التواصل الاجتماعي، لتأصيل ما يسمى بالقراءة المعاصرة، التي عاد وطبقها الكاتب –هذه المرة– على جملة من القصص القرآني، في كتاب اختص بها، وأعانه عليه فريق عمل من المراجعين والمحررين؛ ليشير بذلك إلى الانتقال من الفردية إلى المؤسسية، وقد خرج في جزءين، الأول: جعله في مدخل، وقصّة آدم عليه السّلام، والثاني: في قصص الأنبياء من نوح إلى يوسف عليهم السّلام، وقد وعد الكاتب أن يكون لهما ثالث ورابع، لكنه توفي قبل صدورهما.

أهداف الدّراسة:

تهدف هذه الدّراسة إلى الانتصار للقرآن؛ بالتعريف بمحمّد شحرور، وأهم ثمرات قراءاته المعاصرة، ونقد قراءاته المعاصرة للقصص القرآني، وكشف ما فيها من أخطاء منهجيّة، ومغالطات علميّة، وردّ ما انطوت عليه من شبه وإشكالات، وذلك من خلال نماذج لما يُسمى بقراءاته المعاصرة لقصّة آدم عليه السّلام.

---

١) ينظر: القصص القرآني ١/١٧٤.

مشكلة الدّراسة:

يمكن تلخيص مشكلة الدّراسة بالسؤال الرئيسي: ما واقع قراءة محمّد شحرور لقصّة آدم عليه السّلام، خلقه واصطفائه؟

تتفرع عنه الأسئلة الآتية: ما المراد بالقراءة المعاصرة؟ ومن هو محمّد شحرور؟ وما أسس قراءته المعاصرة للقصص القرآني؟ ما الإشكالات والشبهات التي بثها في قراءته المعاصرة لخلق آدم عليه السّلام واصطفائه؟ وما ردها؟

الدراسات السابقة:

حظيت قراءة محمّد شحرور المعاصرة للقرآن الكريم بكثير من الدراسات النقدية المنتصرة، وخاصة كتابه الأول: الكتاب والقرآن، أثبتُ كثيراً منها في مراجع بحثي، وأما نقد دراسته للقصص القرآني، فقد تحقق جزء منها في ردّ ما اتصل بها في كتابه السّابق، لكني لم أقف على تلك الوفرة، وذاك العمق، في تناول جهد الكاتب في سلسلته حول القصص القرآني، وما استجد فيها، في التطبيق، وصور الإلحاد اللفظي في تناوله للشواهد القرآنيّة، فلم أقف من ذلك إلا الآتي:

– سلسلة مقالات علميّة مجمّعة بعنوان: " قراءة شحرور للقصص القرآني بين التحريف والتخريف" طارق مصطفى حميدة، مركز نون للدّراسات القرآنيّة، فلسطين، وقد نشرت في ٢٠١٥م، وعلى مواقع الكترونية منها: شبكة مشكاة الإسلامية، ورابطة العلماء السوريين، وملتقى أهل التفسير، وقد تناول فيها المؤلف في وقفات موجزة، القراءة المعاصرة لقصص بعض الأنبياء الذين تناولهم شحرور في كتابه القصص، وهم: نوح، ولوط، وإبراهيم، ومحمّد عليهم الصلاة والسّلام.

– القراءة الحداثية لقصّة نوح عليه السّلام في القرآن الكريم دراسة نقديّة، الجازي فرج، رسالة ماجستير في التفسير جامعة قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ٢٠١٧م، وتولت الدّراسة نقد القراءة الحداثية لقصّة نوح عليه السّلام، خاصة التي وردت في كتاب محمّد شحرور في القصص القرآني، كما ظهر في حدود الدّراسة.

– القراءة المعاصرة لقصّة إبراهيم عليه السّلام في القرآن، دراسة نقدية، لبنى مترك الدوسري، رسالة ماجستير في التفسير، جامعة قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ٢٠١٨م. وقد هدفت الدّراسة إلى عرض مقولات أصحاب القراءة المعاصرة، حول إبراهيم عليه السّلام، وتحليلها ونقدها، من خلال ما كتبه محمّد شحرور في كتابه القصص القرآني، وبعض المنتسبين إلى هذه المدرسة.

– القراءة المعاصرة لقصّة يوسف عليه السّلام في القرآن الكريم، حسن خليف الشمري، رسالة ماجستير في التفسير، جامعة قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ٢٠١٨م، وقد تناولتِ الدّراسة آراء محمّد شحرور حول قصّة يوسف عليه السّلام التي جاءت في آخر المجلد الثاني من كتابه القصص القرآني، ودفع ما عده تحريفاً لدلالة الآيات القرآنيّة تضليلا للقارئ، وإشعاره بمعان جديدة لتلك النصوص.

ومع تقاطع بحثي، ضرورة، مع مقدمات تلك الرسائل، حول المؤلف، وأسس قراءته المعاصرة للقصص القرآني، على تفاوت في الإيجاز والإطناب، المنسجم مع هدف كلّ دراسة، إلا أنه افترق عنها في النموذج التطبيقي؛ إذ كان في قراءة شحرور لقصّة آدم عليه السّلام، في كتابه القصص القرآني، فأخذت دراستي مكانها بين أخواتها، ودعت لأخرى على الطريق؛ لإتمام نقد قراءاته المعاصرة للقصص القرآني.

وقد وفقني الله أخيراً، وبعد إتمام هذا البحث وتحكيمه، الوقوف على خبر مناقشة رسالة دكتوراه في ٢٠١٩م، في القرآن الكريم وعلومه، للباحث أحمد عبده الدريسي، في كلية العلوم الإسلامية، بجامعة المدينة العالمية بماليزيا، بعنوان: "فكر المدرسة العقليّة المعاصرة المتعلق بالقصص القرآنيّ –دراسة نقديّة– "كما أُثبتَ على الرسالة[١] التي استطعت، ولله الحمد الحصول على نسخة منها، وقد مثل الباحث لهذا الفكر بمنهج شحرور، وقد هدفت دراسته إلى الكشف عن المعالم، والأطر، والخلفيات، التي تشكل منهج شحرور، في قراءته للقصص القرآني، ودراسة نماذج تطبيقية من قراءته، وبيان ما نتج عنها من أخطاء منهجية، ومغالطات علمية، والرد عليه، وقد أجاد الباحث عرضه لهذا الفكر، وخلفياته، وأطره المرجعية، وجذوره الفلسفية، حيث أطال النفس في ذلك؛ إذ هو السؤال الرئيس الذي سعى بحثه إلى الإجابة عنه، وسد ثغرة فيه، حيث استغرق حوالي ثلاثة أرباع الرسالة؛ ليجعل الربع الأخير في النماذج التطبيقية، فجعلها في قراءة شحرور لقصتي آدم ونوح عليهما السّلام، وقد تناول قصّة آدم عليه السّلام –وهي محل دراستي– من جانبين، الأول: نظري: في مفاهيم مؤسسة، ومفردات استلها من القصّة، رأى الباحث أنها أهم المفاهيم التي بنيت عليها القصّة، حيث أتى بدراسة معجمية لتلك المفردات من كتب اللغة والتفسير، رداً على تقرير المؤلف لدلالتها، ثم تطبيقي: في خلق آدم واستخلافه، موظفاً بعض المفاهيم السابقة، وهو بذلك لم تهدف دراسته إلى تتبع ما كتبه شحرور في كتابه القصص حول قصّة آدم عليه السّلام عرضاً ونقداً، ولم يعنَ بدراسة جلّ ما أورده من شواهد قرآنيّة مبيناً لصور الإلحاد اللفظي فيها، حيث ظهرت جهوده المقدرة، مبعثرة في أثناء تناوله لجانبي الدّراسة، فافترق بذلك عن دراستي، التي حاولت الوقوف على ما كتبه شحرور في فصلي الخلق والاصطفاء، عرضاً ورداً، مبينة لصور الإلحاد اللفظي التي تميز بها الكاتب في إخراج الكلم عن مواضعه، وقد توقفت دراستي على مشارف الفصل الثالث من قصّة آدم عليه السّلام في الكتاب، وهو عن الاستخلاف، والنفس تطمح إلى إتمام ما بقي من قراءة شحرور لهذه القصّة في بحث آخر، في قابل الأيام، بإذن الله، تتمم ما كتب عن استخلاف آدم، وسجود الملائكة له، وشجرة الخلد، وخروجه من الجنّة، والله الموفق .

منهج البحث:

قام هذا البحث على المنهج الوصفي: في التعريف بشحرور، وعرض أسس قراءته المعاصرة للقصّة القرآنيّة، وعرض نماذج منها في قصّة آدم عليه السّلام، ثم التحليلي النقدي: لبيان ردّ هذه القراءة ونقد وسائلها.

وطمح البحث إلى تحقق هذه الدّراسة، **وفق المخطط الآتي:**

- التمهيد: حول القراءة المعاصرة للقرآن.
- **المبحث الأول: محمّد شحرور والقراءة المعاصرة للقصص القرآني.**
- المطلب الأول: التعريف بمحمّد شحرور.
- المطلب الثاني: القراءة المعاصرة للقصص القرآني عند محمّد شحرور.
- **المبحث الثاني: نقد قراءة محمّد شحرور المعاصرة لقصّة آدم عليه السّلام.**

١) يبدو أنه بعد التعديل، فهو غير المنشور في خبر المناقشة أنها بعنوان "القراءة العقلية المعاصرة للقصص القرآني. دراسة نقدية تطبيقية. محمّد شحرور أنموذجاً"، ينظر: https://www.mediu.edu.my/ahmed-abdo/?lang=ar.

- المطلب الأول: خلق آدم عليه السّلام .

أولاً: توطئة.

ثانياً: تطور الإنسان بين التفاسير والعلم والتنزيل الحكيم.

أ- آدم في التفاسير والكتب المقدسة.

ب- تطور البشر في العلم.

ج- تطور البشر في التنزيل الحكيم.

ثالثاً: فهم آيات القرآن وفق حقائق العلم:

أ- آيات الخلق والتسوية والتعديل.

ب- آيات البشر والإنسان.

رابعاً: خلق البشر:

أ- مراحل الخلق في العلم.

ب- مراحل الخلق في التنزيل الحكيم.

ج- مراحل الخلق في آيتي الحج والمؤمنون، وبدأ الخلق في آيتي العنكبوت والواقعة.

- المطلب الثاني: اصطفاء آدم.

أولاً: معنى الاصطفاء .

ثانياً: الجعل والخلق.

ثالثاً: معنى (آدم).

رابعاً: النفس والروح.

- الخاتمة وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

التمهيد: حول القراءة المعاصرة للقرآن

هي أطروحة بدأت في هذا الزمان، ومنذ أواسط القرن الماضي[1]، تولت النظر في النصوص الشرعية حسب ما يمليه العقل، دون تقيد بالضوابط والقيود التي اجتمعت عليها الأمة وعلماؤها، وارتضوها خلفاً بعد سلف، بل لم تلتزم حتى باللغة ودلالاتها، ومنطقها الذي تواتر عن العرب قبل الإسلام[2].

والقراءة هنا في عرف أصحابها لا تعني التلاوة، إنما المدارسة، فهي: استدلال، وتأمل، وإدراك، واستعراض، وتحليل، يصل بعدها القارئ إلى فهم ما يقرأ، وتأويله وفق نظرته وتأملاته، فيغدو القارئ منتجاً للنص لا كاشفاً عن مقصد صاحبه، وهو ما قد يعبر عنه بالقراءة (الهرمينوطيقية)، وعادة ما يلجأ أصحابها إلى المنهج الألسني الغربي؛ في السبر والتحليل والنقد التفكيكي[3].

فـ(القراءة) إذن؛ هي القيد الأول للتحرر؛ في هذا المصطلح؛ حتى تحرر الفهم فيها عن النص نفسه، فيحق للقارئ أن يسرح في النص: مفككاً ومركباً، ليخرج بدلالات تتجاوز آليات النص ولغته ومؤلفه، إضافة إلى كونها قراءة جزئية؛ فهي ليست منتهى الفهم؛ بل احتمال من احتمالاته المتعددة، ونسبية للمنظور الأيدلوجي للناقد، وعدم وجود أدوات ومعايير نقديّة محكمة وكاملة، وغير حيادية؛ لأن القارئ وحده يحدد ما ستسفر عنه قراءته من دلالات؛ ويسمى كل هذا في عرف الحداثة: قراءة![4].

وقد عُبر عن تلك الحرية الغوغائية المنشودة بالتّسكع، فقال أحد منظري هذه القراءة: "إن القراءة التي أحلم بها، هي قراءة حرة، إلى درجة التسكع، في كل الاتجاهات، إنها قراءة تجد فيها كل ذات بشرية نفسها"[5].

---

1) ينظر: في تاريخ القراءة المعاصرة ورموزها، وأهم المناهج المعاصرة في تحليل الخطاب القرآني: الماركسلامية والقرآن، محمّد المعراوي ص ٢٠-٣٤، الخطاب القرآني والمناهج الحديثة في تحليله – دراسة نقدية- عاشور، صليحة، الجزائر، جامعة ورقلة، ٢٠١١م، ومحمّد شحرور وجذور قراءته المعاصرة للقرآن الكريم، مرهف السقا، مقال في موقع رابطة العلماء السوريين ٨ يونيو ٢٠١٧م http://islamsyria.com/site/show_articles/10030 .

2) ينظر: التأويل بين ضوابط الأصوليين وقراءات المعاصرين، إبراهيم محمّد طه (٢/ ٢).

3) ينظر: النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، قطب الريسوني ٢٥٥، والهرمنيوطيقية من الهرمنيوطيقا، وهي الكلمة اليونانية Hermeneutique، وتدل على التأويل والتفسير والقول، وتندرج -تاريخياً- في إطار الفكر اللاهوتي المسيحي الذي عني بتفاسير التوراة والإنجيل (ينظر: المرجع نفسه ص ٢٥٦).

4) ينظر: مفهوم القراءة عند الحداثيين وعلاقته بالتفسير، فاطمة زهراء الناصري، مقال في ملتقى أهل التفسير بتاريخ: ١٤٣٢/٦/٢٤هـ، وأصله موضوع قدّم في ندوة وطنية نظّمت سنة ٢٠٠٩م بالمغرب، بتنسيق بين: المجلس العلمي المحلي بالمحمّدية، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمّدية، حول موضوع: (القراءات المعاصرة للقرآن الكريم) https://tafsir.net/article/5158/mfhwm-al-qra-at-and-al-hdathyyn-w-laqt-h-baltfsyr .

5) الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، محمّد أركون ص ٧٦.

ولعل هذا يفسر العدول عن التعبير بالتفسير إلى القراءة؛ لما تحوي من معان فضفاضة؛ لا يحققها التعبير بالتفسير؛ حيث الأصول، والقواعد المنضبطة، والثوابت المقررة في شروط التفسير، ومؤهلات المفسر؛ والتي ضبطها القدامى، ومضى عليها المعاصرون، وإن اختلفت وسائلهم وأدواتهم(١).

ويلتئم هذا التحرر؛ بنبذ الثوابت، والانسلاخ عن الماضي، والجدة والتطور بالتعبير بـ(المعاصرة)، والتي تحدد بيئة هذه القراءة وظروفها، في أمرين:

الأول: أن تكون القراءة وفق معطيات عصر القارئ، وثقافته السائدة، فلا يكون هذا الفهم حكراً على عصر معين، حتى لو كانوا ممن شهدوا التنزيل وعاصروا التأويل، بل الأمر مفتوح أمام كل عصر؛ أن يأتي بقراءة جديدة للقرآن، فيعيد تفكيك النص وفق ما يتماشى مع العصر في كل مرة، ويدفع بهذه الفكرة بحجة دينية باهتة؛ أن الله أقسم بالعصر والزمن، فلم التخوف من التطور والمعاصرة(٢)، ومن هنا جاءت القراءة بالتاريخية أو أرخنة النص، التي تنفي اعتقاد أن القرآن جاء بأحكام أزلية ثابتة، حيث تربط الأحكام بسياقها التاريخي ووقائع نزولها، فلا تعدى في أفق المستقبل وعلى تراخي العصور، إنكاراً لصلاحه لكل زمان ومكان؛ مما يحكم بموت النص، وإجهاض لنبضه المتجدد(٣).

الثاني: أن من مقتضيات التطور والعصرنة؛ إسقاط النظريات الفلسفية المادية، والمناهج الغربية، ومقررات العلم التجريبي على النصّ، فتصبح، لها الأمر والحكم، بعد القطيعة الكبرى مع التراث، والخروج عما عهد من عوامل الفهم، ومصادر التفسير، ومصادرة آراء السابقين في تفسيره؛ حتى لو كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وصحابته، وتابعيه، ومن تبعهم بإحسان واقتفى منهجهم في التفسير، يقول أحد متورطي القراءة : "إننا في القرآن والسبع المثاني، غير مقيدين بأي شيء قاله السلف، إننا مقيدون فقط بقواعد البحث العلمي، والتفكير الموضوعي، وبالأرضية العلمية في عصرنا... فالقرآن حقيقة موضوعية، مادية تاريخية، لا تخضع لإجماع الأكثرية حتى لو كان كلهم تقاة، ويخضع لقواعد البحث العلمي، حتى لو كان الناس كلهم غير تقاة"(٤).

ولم يقف الإسلام يوماً أمام تجدد الفهم، بل هو أصل دعوته إلى التدبر، ودلالة على صلاح القرآن في كل زمان ومكان، لكن ثمة فرق بين قراءة يطلق الفكر فيها -بدعوى المعاصرة- في فهم القرآن، واستخدام النظريات المعاصرة في تأويله، دون الرجوع إلى شيء من أفهام السابقين، أو التقيد بشيء من الضوابط المقررة.

وأخرى هي من مقاصد القرآن، وطريق إعجازه، وصور تثويره(٥)، وهي إعمال الفكر في فهم القرآن، فهماً جديداً يبنى على ما سبق من الأفهام، وينطلق وفق الضوابط والقواعد المقررة، وضمن الثوابت التي لا تتغير(٦).

---

١) ينظر: القراءة الحداثية للقرآن الكريم، محمّد أركون أنموذجا، هند بليمهوب ص ٤-٦.

٢) ينظر: نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، محمّد شحرور ص ١١٧.

٣) ينظر: النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، قطب الريسوني ص ٢٨٥.

٤) الكتاب والقرآن، محمّد شحرور ص ٩١.

٥) كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: "من أحب العلم فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين"، فهم القرآن ومعانيه، الحارث المحاسبي ص ٢٩٢.

٦) ينظر: القراءة الجديدة، عيادة الكبيسي ص ٥٣.

وهذا، ما جعل بعض الكاتبين؛ لا يرضون وسم هذه القراءة المتحررة، بالمعاصرة أو الجديدة، حيث قرروا أن الأليق نسبتها إلى الحداثة(١)، أو العصرنة(٢) دلالة على دافع مطلقيها، ومنهجهم الباطل، في استمداد آلياتها من تجارب الغرب في فهم نصوصهم المقدسة، والثورة على الموروث من جهة، ولمنع التباسها بما هو جائز؛ بل مطلوب، من تفسير، وتدبر القرآن بما جد من وسائل وأدوات، مع الحفاظ على الثوابت من جهة أخرى.

والناظر في القراءة الحداثية، يلمس منهجاً مطرداً عند أصحابها، وهو دعوى أن قراءتهم ناشئة عن اجتهاد في فهم الدين من داخل دائرته المرجعية، وأنها تمثل الفهم الحق للإسلام الصحيح المستخلص من أصوله، ضل عن فهمه الآخرون، فهم وحدهم؛ الهداة المصلحون، والمسلمون حقاً وصدقاً؛ فإذا هو دين يستعبده الإنسان، ويتحكم به، وفق ميوله ورغباته، حيث التلاعب بالعقول والنقول، والتحريف والتزييف للحقائق، ونقد داخلي للإسلام مغرر بأتباعه، لا خارجي سافر كما عند المستشرقين(٣).

وكذلك يبرز عندهم الاتصال الواسع بالغرب، واستيراد مناهجه الفكرية؛ حيث بروز النزعة المادية، وأسس الماركسية وتطبيقاتها العملية، كما تتجلى الجرأة في التعامل مع القرآن الكريم، ونزع قداسته، والطعن في السنة النبوية، وفصلها عن القرآن، وتقديم العقل على النقل، وغيرها مما يعد أساساً لتلك القراءة المعاصرة(٤).

---

١) ينظر: القراءة الحداثية للقرآن الكريم، محمّد أركون أنموذجاً، هند بليمهوب ص ٤، والمنطلقات الفكرية والحضارية لدى الحداثيين للطعن في مصادر الدين، أنس المصري، ص ٧٩.

٢) ينظر: قراءة في ضوابط التأويل وأبعادها المنهجية في الدراسات القرآنيّة المعاصرة، رقية طه جابر العلواني، ص ٢٠

٣) ينظر: الماركسلامية والقرآن، محمّد المعراوي ص ٤٠-٤١، نقض منهجية القراءة المعاصرة للنص القرآني عند المهندس محمّد شحرور، عباس شريفة، ص ٧-٨.

٤) ينظر: النزعة المادية، عادل التل ٧٠/٧١، القراءة المعاصرة لقصّة إبراهيم عليه السّلام في القرآن، لبنى الدوسري ص ٣٦-٧٤.

المبحث الأول: محمّد شحرور والقراءة المعاصرة للقصص القرآني.

المطلب الأول: التعريف بمحمّد شحرور.

هو محمّد ديب شحرور، ولد سنة ١٩٣٨م، في حي الصالحية في دمشق، وفيه نشأ، في أسرة محافظة، لأب يعمل بالصباغة، درس في الكتاب إلى أن التحق بالتعليم الابتدائي ثم الإعدادي ثم الثانوي، ثم التحق بجامعة دمشق لدراسة العلوم في قسم الرياضيات والفيزياء، لأقل من سنة، حيث قطع دراسته لحصوله على بعثة خارجية لدراسة الهندسة المدنية في الاتحاد السوفيتي، ليتخرج بدرجة دبلوم في الهندسة، ويعين معيداً في جامعة دمشق، ثم أوفد إلى جامعة دبلن في إيرلندا، لدراسة الماجستير والدكتوراه، ليعود مدرساً، ثم أستاذاً مساعداً في جامعة دمشق، في تخصص ميكانيك التربة والأساسات.

ثم افتتح مكتباً هندسياً استشارياً؛ لممارسة المهنة كاستشاري منذ عام ١٩٧٣م، وقد حفل هذا المكتب بنقاشاته الفكرية مع معارفه فيما يتصل بما يسمى القراءة المعاصرة، الذي بدأها منظراً ومطبقاً عقب تأثره كما يقول بمواقف الناس تجاه أسباب نكسة سنة ١٩٦٧م، وعدم منطقية الخطاب الديني الذي يعيد سبب الهزيمة إلى التفلت من الأحكام الشرعية، كخروج النساء كاسيات عاريات، وكذلك عدم منطقية الخطاب الشيوعي، الذي أرجع ذلك إلى التقيد بشعائر الدين كصوم رمضان، فلمس بذلك أزمة العقل العربي في ربط الأحداث بالدين وجوداً أو عدماً وحاجته إلى التنوير، وساعده في ذلك ما عوده عليه والده من التفكير في الأمور، وعدم أخذها كمسلمات، فقرر أن يقف وجهاً لوجه أمام المصحف، مستخدماً أرضية معرفته المعاصرة[1]، وما تشبع به من نظريات، ويعرض صفحاً عن غيره من تفاسير أهل التراث كما يسمهم، بل وحتى عن السنة المبينة للقرآن؛ لأن القرآن لم يعيه حتى يلجأ إلى غيره[2].

وكان مبتدأ هذا اللقاء المباشر بالمصحف سنة ١٩٩٠م، حيث أصدر كتابه (الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة)، وقد قضى في تأليفه أكثر من عشرين عاماً كما بين في مقدمة الكتاب[3]، فخرج فيما يربو عن ثمانمائة صفحة، وقد علل شحرور ضخامة الكتاب بخشيته أن يكون الأخير؛ فيوقف عن التأليف، فأراد أن يضمنه جميع أطروحاته، لكن الواقع أن

---

١) ينظر: سيرته الذاتية في الموقع الرسمي لمحمّد شحرور https://shahrour.org/?page_id=9

وحديث ابنه الطبيب طارق شحرور، في برنامج بيج لف بعنوان: (رحلة في فكر وحياة الراحل الدكتور محمّد شحرور)
https://www.facebook.com/ShezoMedia/videos/251688329424903

٢) ينظر: حديثه في برنامج التغيير والتفكير في حلقته الأولى
https://www.youtube.com/watch?v=9MfFA3hXiAE ، ويشير شحرور بذلك إلى قول كثيراً ما ينسبه خطأً للإمام الشافعي، وهو للإمام ابن تيمية حيث، قال: " إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اخْتُصِر من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمّد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فهو مما فهمه من القرآن.." مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية ص ٣٩.

٣) ينظر: الكتاب والقرآن ٤٦-٤٨.

منع الكتاب في سوريا استمر لأربع وعشرين ساعة فقط، ليطبع أربع مرات في سنة ونصف، وينتشر في أنحاء الوطن العربي[١].

ويمرر الكاتب، بحبل من الناس[٢]، أسس قراءته المعاصرة؛ بتقسيمه المخترع لأجزاء القرآن المنزل على نبينا الكريم صلّى الله عليه وسلم، القاضي بأن الكتاب غير القرآن[٣]، وجملة من الرؤى، والأطروحات الأخرى المنتظمات الخروج عن الثوابت والمسلمات، التي أتخمت الكتاب، حتى أحصاها بعضهم[٤] بما يزيد عن ألف موضع؛ يمثل انحرافاً عن المنهج الإسلامي.

ثم أتبع شحرور كتابه الأم بجملة من المؤلفات الكثيرة، التي ما هي إلا اجترار للكتاب الأول، مع تفصيل وبيان حيناً، أو تغيير في بعض الأفكار إلى ما هو أكثر جرأة حينا آخر[٥]، ومنها: (الدولة والمجتمع)، (الإسلام والإيمان)، (فقه المرأة)، (تجفيف منابع الإرهاب)، (القصص القرآني) بجزأيه الأول والثاني، (السنّة الرسولية والسنّة النبوية)، (الدين والسلطة)، (الإسلام والإيمان – منظومة القيم).

وكذلك عرض شحرور آراءه عبر وسائل الإعلام المختلفة؛ بمقابلات صحفية في مجلات، منها: مجلة الإيكونيميست البريطانية، وصحيفة الراية القطرية، وصحيفة نيويورك تايمز الأمريكية، ومجلة دير شبيغل الألمانية، وصحيفة ديه فيلد الألمانية، ومجلة روز اليوسف المصرية، وصحيفة النهار اللبنانية، وصحيفة النور السورية، وصحيفة الاتحاد الإماراتية وغيرها[٦]، وعبر القنوات الفضائية؛ إذ كان مبتدأ ذلك في مطلع القرن الحالي حيث بثت له قناة أوربت الفضائية على الهواء مباشرة ٢٢ حلقة تلفزيونية، مطولة، مع الإعلامي عماد أديب (حضورياً وعلى الهاتف) عام ٢٠٠٠ – ٢٠٠١م. أثارت ردود فعل كثيرة عربياً وعالمياً[٧]، وتبعتها قنوات أخرى، وبحضور لافت خاصة في العشرة سنوات الأخيرة، في برامج مسلسلة، كقناة

---

١) ينظر: الإشكالية المنهجية في الكتاب والقرآن، ماهر المنجد ص٥٣٢.

٢) ومن مظاهر ذلك إشادة الغرب الرسمي به؛ كثناء وكيل وزارة الخارجية الأمريكية السابق روبرت بللترو على كتاباته ووجهات نظره. ينظر: رؤى وآراء معاصرة دراسة نقدية، غازي التوبة ص ٧٣.

٣) وهي: شبهة قديمة معاصرة، ينظر: في ردها: روضة الناظر وجنة المناظر، ابن قدامة ١/ ١٩٨، أصول الفقه، ابن مفلح ١/ ٣٠٨، التحريف المعاصر في الدين، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص ٥٩، القرآن وأوهام القراءة المعاصرة، جواد عفانة، ص٢٩-٣٠، شحرور مفسداً لا مفسراً، فوزي فطاني ص ٨-١١.

٤) وهو عادل التل، في كتابه: النزعة المادية في العالم الإسلامي، ص ٢٩٩.

٥) ينظر: مثلاً تقريره – بحسب نظريته الحدودية في العقوبات وأن لها حد أعلى وحد أدنى – أن قطع يد السارق هو الحد الأقصى لعقوبة السرقة، وليس الحد الواجب التنفيذ دون غيره؛ ولذلك يجوز الحبس والغرامة، حيث يفسر القطع بكف اليد عن المجتمع بالسجن. ينظر: الكتاب والقرآن ٥٨١-٥٩١، لينكر بعدها حد القطع، ويحصرها في السجن، وللمؤبد في حده الأعلى، في كتابه الدين والسلطة. ينظر: ص ٤٥٨، بل وليسم القطع بالخطأ الكبير، ينظر: حديثه في برنامج النبأ العظيم، على قناة الخليجية في ٢٠١٧م. .https://www.youtube.com/watch?v=jg1LRax888M&feature=youtu.be

٦) ينظر: سيرته الذاتية في الموقع الرسمي لمحمّد شحرور https://shahrour.org/?page_id=9

٧) ينظر: الموقع الرسمي لمحمّد شحرور تاريخ الزيارة ٢٠١٩/٨/١٦م. قبل حذف عبارة أثارت ردود فعل كثيرة عربياً وعالمياً .https://shahrour.org/?page_id=9

روتانا الخليجية، في برنامج النبأ العظيم مع الإعلامي يحيي الأمير، في ٣٠ حلقة طيلة شهر رمضان عام ٢٠١٧[١]، وقناة أبو ظبي في ٢٩ حلقة مع الإعلامي ذاته، وفي رمضان أيضاً عام ٢٠١٨م[٢]، وفي لقاءات خاصة كما في برنامج سيرة مع الإعلامي باسم الجمل في قناة الغد عام ٢٠١٨م[٣]، و برنامج تقرير خاص مع الإعلامي سيد يوسف، في قناة الحرة في عام ٢٠١٨م[٤]، وكذلك له حلقات مصورة على اليوتيوب في برنامج التفكير والتغيير في ٤٣ حلقة[٥] وغيرها.

ومن تتمات ولوازم التعريف بشحرور، وما يغني عن تصنيفه فكرياً، والحكم عليه ذكر شيء من أطروحاته وثمرات قراءته المعاصرة، التي عدّها مريدوه قبل معارضوه؛ أنها صادمة وخارجة عن المألوف، وليس إيرادها هنا من باب جمع الطعون، بل ذكر واقع عرف به شحرور، وما فتىء يكرره؛ كفتوح أسفرت عن قراءته المعاصرة للتنزيل الحكيم، كما يحلو له أن يسمه، وهي كثيرة، متنوعة: في العقائد والأحكام، منها قوله:

- إن الله لا يعلم احتمالات تصرف الإنسان كلها من الأزل، وإنما يعلمها عندما يفكر الإنسان بها، أي بعد وجودها[٦]. وعمر الإنسان ورزقه وعمله؛ ليس مكتوباً عليه سلفاً[٧].
- إنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لم يأخذ شرعيته من الله، إنما بايعه الناس، أما طالوت وسليمان عينهم الله فأعطاهم الملك والسلطان[٨]، ولا معجزات حسية للنبي صلّى الله عليه وسلّم كالمعراج؛ وإنما هي مخترعة من قبل أتباعه مجاراة لوجود معجزات عند غيره من الأنبياء كموسى وعيسى عليهما السّلام وما ذكر فيها من أحاديث فهراء محض لا أساس له من الصحة سوى عند ابن عباس –رضي الله عنه–.
- النبي صلّى الله عليه وسلّم ليس معصوماً فيما عدا إبلاغ الرسالة، وليس مطاعاً في غير الشعائر، ففرق بين التنزيل الحكيم والحديث؛ فالأول نص صالح لكل زمان ومكان، بينما الثاني تاريخي يتماشى مع الواقع المعاش، لا يحمل الطابع الأزل. ولذا فهو يشكر كل علماء الحديث على ما بذلوه من جهود في تنقيح وكتابة وثائق تاريخية، ليست مقدسة ولا أبدية[٩]. وكل شيء قاله النبي صلّى الله عليه وسلّم في القرآن ولم يرد ذكره في الكتاب، وقال فيها هذا ممنوع وهذا مسموح، فالمعنى أنها أحكام مرحلية، وحدود مرحلية، لا علاقة لها بحدود الله[١٠]، و ما اشتهر عند

---

١) ينظر: https://www.youtube.com/watch?v=nNLA36_8FkE. .

٢) ينظر: https://www.youtube.com/watch?v=au7aNs6TYtQ.

٣) ينظر: https://www.youtube.com/watch?v=1RNH-voYDoM.

٤) ينظر: https://www.youtube.com/watch?v=3e6KY45OUusdk.

٥) ينظر: https://www.youtube.com/watch?v=9MfFA3hXiAE

٦) ينظر: الكتاب والقرآن ص ٣٨٦.

٧) ينظر: نفسه ص ٤١١.

٨) ينظر: https://www.youtube.com/watch?v=3e6KY45OUus

٩) ينظر: https://www.facebook.com/Dr.Mohammad.Shahrour

١٠) ينظر: الكتاب والقرآن ص ٥٥٢، وللتوسع في رصد الشبهات حول السنة وردها عند شحرور، ينظر: القرآنيون والسنة النبوية (الدكتور محمّد شحرور نموذجاً) د. محمّد يوسف الشربجي قسم علوم القرآن والسنة، جامعة دمشق/ مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية

بعض المفسرين من أن النبي صلّى الله عليه وسلّم ما كان ينطق إلا عن وحي؛ فوهم لا حجة لمن أخذ به[١]، ونساء النبي صلّى الله عليه وسلّم ليسوا أسوة للنساء، وما خوطبن به تعليماً لهن وليس تشريعاً لغيرهن[٢].

- لا يسعه ما يسع الصحابة، وليس هم خير القرون؛ بل عصرنا أفضل من عصرهم: معرفياً، وتشريعياً، وأخلاقياً وشعائرياً، بدليل عدم الحاجة إلى وجود رسالة، وبعث رسل جدد؛ فالأمة اليوم قادرة لاكتشاف الوجود بنفسها دون نبوات، وقادرة على التشريع بنفسها دون رسالات[٣]، ولا اعتبار لإجماع الصحابة أو غيرهم من السابقين؛ فهو خاص بهم، وإنما الإجماع المعتمد هو إجماع الأحياء المعاصرين في برلماناتهم[٤].
- مفاهيم: الكفر والجهاد و الردة؛ صيغت لزمن سابق في العصر العباسي، ولا يصح بقائها لليوم، وكذلك حال الفقه الإسلامي[٥].
- الصيام ليس واجباً، بل على التخيير، بينه وبين الفدية، ومن اختاره اختار المنحة الأعلى من الله على الأدنى وهي الفدية، و لا يوجد في التنزيل الحكيم ما يمنع صيام الحائض أو النفساء[٦].
- يمكن التوسع في زمان الحج، بدل أن يكون موسماً واحداً، ليكون أربع أو ثمان مواسم مثلاً، بحيث يحدد الوقوف في عرفة مرتين خلال كل شهر من الأشهر الأربعة، مع الاحتفاظ بعيد الأضحى في العاشر من ذي الحجة[٧].
- تنحصر المحرمات في أربعة عشر محرماً، وهو ما ورد التصريح بتحريمه في آية الأنعام:١٥١، وهي: الشرك، وعقوق الوالدين، وقتل الأولاد من إملاق، والاقتراب من الفواحش، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، والغش بالكيل والميزان، شهادة الزور، نقض العهد، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير والاستقسام بالأزلام في المائدة :٣، والإثم والبغي بغير حق والتقول على الله في الأعراف: ٣٣، ونكاح المحارم في النساء: ٢٣-٢٤، والربا في البقرة: ٢٧٥، وكل ما ورد من آيات أخرى في هذه المواضيع هو تفصيل لها، والله فقط هو المحرم، والرسول صلّى الله عليه وسلّم كان كولي أمر؛ يأمر وينهى، ولم يحرم، والأمر والنهي يدخلان ضمن القانون المدني؛ الذي يتغير وفق الزمان والمكان، والذي تمثله البرلمانات في العصر الحاضر[٨].

مجلد ٢٣- العدد الأول -٢٠٠٧، المنطلقات الفكرية والحضارية لدى الحداثيين للطعن في مصادر الدين، أنس سليمان المصري، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون مجلد ٤٢ العدد ١ ٢٠١٥م، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، عمان.

١) نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي ص ٦١.

٢) ينظر: الكتاب والقرآن ص ٦٠٢.

٣) ينظر: كتابه الكتاب والقرآن ص ٥٦٧، تجفيف منابع الإرهاب ص ٢٦، والتفكير والتغيير الحلقة الثانية .https://www.youtube.com/watch?v=ACVP3UOkPDI

٤) ينظر: نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي ص ٦٤.

٥) ينظر: https://www.youtube.com/watch?v=1RNH-voYDoM

٦) ينظر: https://www.facebook.com/Dr.Mohammad.Shahrour

٧) ينظر: مقاله الحج أشهر معلومات في هات بوست في موقعه في أغسطس ٢٠١٩ https://shahrour.org/?p=17973

٨) ينظر: https://twitter.com/abudhabitv/status/1006515991822528512?s=20 .

- الفواحش المحرمة محصورة في ست، وهي :الجنس العلني، والجنس الجماعي، ونكاح المحارم، ونكاح المتزوجة، ونكاح امرأة الاب، ونكاح المثل، وما عدا ذلك فحلال يحكمه الذوق الشخصي والأعراف والقانون[١].
- الربا من حيث الأصل ليس محرماً ولا ممنوعاً إلا إذا تجاوز ضعف الدين وهو الأضعاف المضاعفة[٢].
- الحجاب أعراف وتقاليد لا علاقة له بالإسلام ولا بالإيمان[٣]، وهو من صناعة المجتمع الإسلامي البائد فلا يفرض على نساء العالمين ما لبسته نساء مضر وربيعة[٤]، وإنما الحجاب الواجب هو تغطية الزينة التي أخفاها الله في بنية المرأة، وهي الجيوب؛ وهي: ما بين الثديين، وتحت الثديين، وتحت الإبطين، والفرج، والإليتين فقط[٥].

توفي محمّد شحرور في ٢٠١٩/١٢/٢١ م، في مدينة أبو ظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، ونقل جثمانه إلى دمشق، بناءً على وصيته؛ ليدفن في مقبرة العائلة، وبقيت أطروحاته السابقة وغيرها الكثير مضمنة كتبه وصفحاته في مواقع التواصل الاجتماعي، التي يعاد تلخيصها ونشرها مجدداً من قبل أتباعه، وعلى رأسهم ولده الطبيب طارق شحرور، ومما استوقفني ما اطلعت عليه أخيراً في الوفاء لفكره، والسير على خطاه بعد موته، وهي سلسلة مقاطع معنونة بـ (على درب محمّد شحرور، وإكمال لما بدأه د. شحرور) سجلها أحدهم[٦] على شكل مقاطع كرتونية، ولعمري أيعد ذلك جدة في العرض فحسب؛ أم تلبيس على من يقع عليها من صغار المتصفحين؟!.

---

١) ينظر: الكتاب والقرآن ص٤٦٧-٤٦٩.

٢) ينظر: https://www.youtube.com/watch?v=dJgko8Ksyac.

٣) نحو أصول جديدة في الفقه الإسلامي ص ٤٧.

٤) ينظر: https://www.youtube.com/watch?v=QP8s5xPd-ec&feature=youtu.be

٥) ينظر: الكتاب والقرآن٦٠٦/٦٠٧.

٦) وهو فراس منير، سوري ينعت نفسه بالمفكر الإسلامي، ومن مقاطعه التي نشرها في أغطس ٢٠٢٠م ينظر: مثلا https://www.youtube.com/watch?v=tY53Lb7xcCI&list=PLlJ4tTXaWS8erDW3lTdpcS8s9IHiWPtRI&index=33

المطلب الثاني: القراءة المعاصرة للقصص القرآني عند محمّد شحرور

أبان شحرور فلسفته ومنهجه في القراءة المعاصرة للقصص القرآني، في مدخله الذي افتتح به المجلد الأول في كتابه القصص القرآني، وجعله في باب كبير أتخمه -كعادته- بالموضوعات التي لا صلة لها بصميم قراءة القصّة، و التي تعكس سيطرة الانسلاخ عن الماضي، ونبذ التراث، والقول بتاريخية النص على فكره، بل وقائد لخواطره ومقاله، فنجد أن جل ذلك المدخل خرج عن عنوانه: القصص القرآني في التنزيل الحكيم؛ ليقحم القارئ في فصول ثلاثة ناشزة، الأول : تحدث فيه بعد توطئة عنونها بالقصص في القراءة المعاصرة عن طبيعة العقل العربي في زمن التنزيل وميزاتهم، وأثر ذلك على التناول القصصي، وهي: أمية العرب الثقافية؛ بجهلها للديانات السابقة؛ مما أدى إلى تلقفهم القصص دون تمحيص، وسيادة عقليتهم التشخيصية، ووجودهم في مرويات أهل الكتاب معيناً خصباً في تعزيز صورة الإله المشخص، ودافعاً لهم لتقبل الملاحم الأسطورية التوراتية تفسيراً للقصص، وخيالهم الشعري الذي دعم الولاء القبلي من خلال الشعر الذي فهم التنزيل من خلاله؛ وفق بداوته ومحيطه الجغرافي، فلم يعرف من التاريخ سوى الأساطير، ومنظومات الفخر والهجاء، ولم يستخلص من التاريخ القصصي عبره، ثم الثبات والسكون الذي طبع العقل العربي مما أعاقه عن التفتح والتنوير وإدراك التراكم الحضاري للثقافات المختلفة، إلى غير ذلك من المجازفات(١).

ليتحدث في فصله الثاني عن إشكاليات النموذج المعرفي السلفي، ومنها: أن المعرفة السلفية كانت سبباً في نشوء شبهات مصدرية التنزيل، كنقل سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم للتنزيل من كتب أهل الكتاب وثقافاتهم، أو أنه ألفه بنفسه، لأنهم فسروا التنزيل بتفسيرات موروثة، كما لو أن محمّداً صلّى الله عليه وسلّم وصحابته هم المنزلون، ليختم هذا الفصل بجملة مما أسماه القيم المضافة -وهي جملة مكرورة مما سبق بيانه في كثير من كتبه- منها : اشتراك أهل الملل جميعاً بوصف الإسلام، وآثار اختراع السلف لعلمي النسخ وأسباب النزول، ودورهما في التحريف المنظم للكلم عن مواضعه(٢)، وإحاطة فكر الإنسان بأسوار مكهربة مانعة له من التطور؛ هي السنة والإجماع والقياس، ليتممها بطعون مزدحمة متنوعة؛ يضيق المقام عن ذكرها، في الفصل الثالث، الذي عنونه بنقد الماضوية السلفية، ومنه: نقد الجبرية اللاهوتية التي يرفض فيها صراحة عقيدة أهل السنة والجماعة؛ بسبق علم الله لفعل الإنسان واختياره(٣).

ليصل أخيراً، في الفصل الرابع، مشفوعاً بما ذكره قبلاً في توطئة الفصل الأول، إلى ذكر فلسفته في القصص، والقواعد المنهجية في قراءته، والمفاهيم المؤسسة لفلسفة قراءته، وخلاصتها فيما يأتي:

أولاً: فلسفته في القصص:

يرى شحرور "أن القصص القرآني مجموعة أحداث إنسانية، تم تسجيلها بعد وقوعها، كما تم تصنيفها وحفظها في إمام مبين"(٤)، وهو الجزء المتغير من القرآن، حيث ينتظم القرآن عنده جزءاً ثابتاً، وهو القوانين العامة الناظمة للوجود

---

١) ينظر: القصص القرآني ١/١٩-٤٢.

٢) ينظر: القصص القرآني ١/٩٩.

٣) ينظر: القصص القرآني ١/١٥٩.

٤) ينظر: القصص القرآني ١/٢١.

كله، ابتداء من بدأ الخلق حتى الساعة، وهي في اللوح المحفوظ، وجزءاً متحركاً هو الإمام المبين، وينقسم إلى: الكتاب المبين، وهي أحداث وقوانين الطبيعة الجزئية؛ كتصريف الرياح والمطر، وإلى أفعال الإنسان الواعية، وهي القصص(١).

ولا يخفى أن هذا التقسيم هو جزء من تصورات الكاتب العقلية، التي اخترعها في تقسيمه لكلام الله، ولا دليل عليه، ومررها تثبيتاً لأركان قراءته المعاصرة من حيث ثبات النص وتحرك المحتوى(٢)؛ دعماً لقابلية التأويل المتعدد؛ المتحرر من الثوابت.

ويرى الكاتب أن للقصص دوراً في إعادة تشكيل العقل الإسلامي، وفق أسس علمية ومعرفية، تجديدية مضموناً ومنهجاً، والمدخل لفهمه هو جدل الإنسان مع ذاته والطبيعة والمجتمع، وذلك يتطلب قبل كل شيء نقد دوره السابق في المنظومة المعرفية الموروثة، وقراءتها المعرفية والتاريخية؛ حيث يغيب الجدل، وتتحول القصص إلى حوادث تاريخية مبهمة وغامضة، وتنشأ أساليب التفسير الخرافية لفك تلبسات هذا الغموض، وتتحول روايات أهل الكتاب مستنداً مهيمناً على التنزيل ومشوهاً له(٣)، وتهدر مخزون القصص التراكمي معرفياً، وقيمياً، وموضوعياً(٤).

فتأتي القراءة المعاصرة للقصّة؛ لإخراجها من الإطار السرد التاريخي، إلى إطارها الحقيقي، وهو دراسة صيرورة التاريخ والتراكم المعرفي والحضاري لإنسانية، لاستخلاص العبر من القصّة وفق المعارف الحديثة(٥)، حيث إن قراءة القصص مبنية على شرط أولي، وهو اكتشاف غايات القصص من داخل التنزيل الحكيم نفسه، وهو ما يكشف عن مضمون القصص، وفق قراءة تستحضر الإنسان المعاصر وسقفه المعرفي(٦).

ولكنه يقصر هذه الغايات على استخلاص العبر والعظات، وأن القصص لا تنشئ أحكاماً، ولا يعني ذلك رفضه أحد مصادر التشريع –وهو شرع من قبلنا– على اعتبار كون القصص للأمم السابقة فحسب(٧)، بل ينكر أيضاً أن تستنبط أي من التشريعات من قصص النبي الكريم محمّد صلّى الله عليه وسلّم الواردة في القرآن، كأحكام السلم والحرب، وتقسيم الغنائم، ونحو ذلك بحكم تقسيم كتابه وأنها ليست من الرسالة(٨).

---

١) ينظر: الكتاب والقرآن ٧٤-٧٦، ودليل المصطلحات الواردة في التنزيل الحكيم في الموقع الرسمي: (https://shahrour.org/?page_id=12

٢) ينظر: القصص القرآني ١/١١٠-١١٥.

٣) ينظر: القصص القرآني ١/١٩، ١٧٤.

٤) ينظر: القصص القرآني ١/١٧٧.

٥) ينظر: القصص القرآني ١/٩-١٠.

٦) ينظر: القصص القرآني ١/١٨٢.

٧) ينظر: القصص القرآني ١/٤٣، ١١٤.

٨) ينظر: القصص القرآني ١/١٢٢-١٢٤، ١٨٥ وما بعدها.

وكذلك رأى الكاتب أنه يجب أن تبنى قراءة القصص على أن عالم الغيب والشهادة عالمان ماديان، وأن ما يظن أنه معجز وخارق للعادة في القصص ما هو إلا سنن غاب إدراكنا عنها، وتحتاج إلى قفزات معرفية لابد من مجيء تأويلها[1]، وهو بذلك ينكر المعجزات.

ثانياً: قواعد منهجية لقراءة القصص:

ذكر شحرور مجموعة من القواعد المنهجية تحكم تناوله للقصص القرآني[2]، خلاصتها:

- اكتشاف واستنباط العبر من أحداث القصص، وعدم الاقتصار على عبرة انتصار الحق على الباطل، وهلاك أعداء الله، كما فعلت كتب التفسير والتاريخ.
- اكتشاف قضايا التراكم المعرفي والقيمي، وربط هذا التراكم بدور الوحي في توجيهه.
- ربط المعجزة بطبيعة النسق الثقافي لمن جاءت إليهم؛ حتى تحقق الأثر المطلوب.
- تصحيح الوعي الجمعي الإنساني المعاصر؛ من خلال مراجعة نقدية لتشكل الوعي الإنساني، وتصحيح المفاهيم التي تركب عليها عبر التاريخ الذي يعرضه أحداث القصّة.

وهذه القواعد تبرز منهج الكاتب: أنه إذا وجد في كلامه شيء من صواب أظهره كأنه فتح خاص به، وافترى عدم وجوده عند المفسرين، والحق أن ما يقدمه صورة هزيلة؛ لما سبق به من أهل التفسير وعلوم القرآن القدامى والمعاصرون، حيث جاؤوا به بصورة أكمل وأبهى، وأفصح في أغراض القصّة، وخصائص المعجزة.

- فهم الربط بين وعي الإنسان بذاته وبالآخر وبالمقدس، وبين نضج كينونته القادرة على توليد تشريعاته من خلال هذا الوعي الذاتي، واكتمال رشده المنبئ عنه اكتمال الوحي، ومحاولة فهم علاقة النماذج التشريعية التاريخية التي جاءت بها الرسالات وسجلت في أحداث القصص.

ويمرر الكاتب من خلال هذه القاعدة إحدى ثوابت القراءة المعاصرة التي يكررها في كتبه: وهو أن التشريع قد انتهى بختم الرسالات والكتب؛ ليصبح المشرع؛ بل والكتاب المنير هو الإنسان؛ فهو الراشد الذي لم يعد بحاجة إلى وصاية مباشرة، لا من السماء ولا من غيرها[3].

ويضاف هنا بعض القواعد التي لم يذكرها شحرور في مدخله، وطبقها في قراءته المعاصرة عامة، ومنها تناوله للقصص القرآني، وهي:

- الترتيل: وهو أخذ الآيات المتعلقة بالموضوع الواحد، وترتيلها، أي: ترتيبها بعضها وراء بعض، فلا يقصد بالترتيل التلاوة[4].

وهذه القاعدة ليس من ابتكارات شحرور؛ بل أساس، تفنن به علماء التفسير وعلوم القرآن خاصة في العصر الحاضر، تحت اتجاه في التفسير سمي بالتفسير الموضوعي، وقد أسس له منذ بدأ الوحي على يد نبينا الكريم محمّد

---

١) ينظر: القصص القرآني ١/١٣٠.

٢) ينظر: القصص القرآني ١/١٨٣-١٨٤.

٣) ينظر: مثلا القصص القرآني ١/٧٢-٧٣.

٤) ينظر: مثلا الكتاب والقرآن ص ١٩٧.

عليه الصلاة والسّلام بتفسيره القرآن بالقرآن، بل إن مسألة الجمع والتصنيف، هي من أهم قواعد البحث العلمي، التي أبدع بها علماؤنا وكانوا له رواداً .

- التقيد باللسان العربي الذي لا يحتوي الترادف، و مسألة الترادف هي الأساس المنهجي الأكثر حضوراً في قراءته، فهو ينكر أن يكون في القرآن ترادف، ويصفه بأنه مجرد خدعة من القائلين به، وسبب أوهام المسلمين، وهو هنا كعادته يظهر نفسه أنه المحقق المدقق الذي يقطع على المراوغين خداعهم، و يبني نتائجه على مقدمات باطلة لم تقع، فإنكار الترادف في القرآن ليس أمراً خاصاً بشحرور، بل هو قول المحققين من المفسرين وأهل اللغة، قديماً وحديثاً، فمن هو هذا المخادع الذي يقنع شحرور الناس بوجوده؟ ثم، إن القول بالترادف مسألة خلافية تعود في أساسها إلى الاختلاف بين الاسم والصفة، فمن رأى الترادف جعله من باب الأسماء المتعددة للاسم الواحد، ومن أنكره فرق بين الاسم والصفة، فيكون الاسم واحداً والصفات متعددة، وهذا يقضي بعدم التشابه التام بين معاني الكلمات التي قيل بترادفها، لكنه لا يعني بحال أنه فرق يؤدي إلى التغاير التام، فإطلاق: الصارم، والبتار، والحسام، والفيصل، على السيف، إشارة إلى فروق في صفة الحدة التي تدل جميعاً عليها، وعلى هذا عنون الإمام العسكري كتابه بـ(الفروق اللغوية)؛ دلالة على أن ثمة فروقاً في الصفات زيادة على المعنى الأصلي، لا الاستقلال في المعنى، وأن كلاً من المترادفات يغاير صاحبه كما زعم شحرور، فيظهر بذلك الإسقاط المتأصل في قراءة شحرور المعاصرة، التي تسللت من الترادف إلى معنى لا علاقة له بالترادف من قريب أو بعيد، ولتمرير قراءته المعاصرة، وتسويغ منظومته التي يحتكم إليها في تقسيم القرآن الكريم إلى أقسام متفرقة متغايرة، لإحياء النظرية الجدلية الماركسية[١].

ثم يختم شحرور مدخله حول القصص بجملة من المفاهيم التي يؤكد فيها فلسفته في القصّة[٢]. وقد عرض جلها في بيان فلسفته وقواعده السابقة، وهي: النبأ والخبر، والعبرة، والأسطورة، والقصص، والتأويل، والسنة التاريخية، ولا تخلو جميعها من مناقشة، وصور من الإلحاد اللفظي في شواهدها القرآنيّة ليس هذا البحث محلاً لذكرها.

---

١) ينظر: بيضة الديك، يوسف الصيداوي ص ٦١-٦٧، التفسير والمفسرون في العصر الحديث، فضل عباس ١/ ٢١٠، نقض منهجية القراءة المعاصرة للنص القرآني عند المهندس محمّد شحرور، عباس شريفة ص ٣٠-٣٤.

٢) ينظر: القصص القرآني ١/١٨٥-٢٢٤.

المبحث الثاني: نقد قراءة محمّد شحرور المعاصرة لخلق واصطفاء آدم عليه السّلام.

تعد قصّة آدم من أهم القصص التي تناولها المؤلف؛ لما لها من أثر في تأسيس مبدأ التطور وشرعنته، وانعكاس ذلك على تبنيه لتطور الفهم وتجديده بحسب السقف المعرفي للإنسان، وهو الأساس الذي بنى عليه قراءته المعاصرة، وكذلك بنى على تلك الرؤية في أحداث هذه القصّة –كمسألة الخطيئة وعقدة الذنب– كثيراً من آرائه الفكرية المتحررة من التكاليف وربقة التحريم.

- وقد قرأ المؤلف جملة أحداث هذه القصّة في كتابه الأم (الكتاب والقرآن ...قراءة معاصرة)، وتوقف مع هذه الأحداث مفصلاً مدللاً في كتابه (القصص القرآني ...قراءة معاصرة) في مجلده الأول: مدخل إلى القصص وقصّة آدم، وفي فصول خمسة هي: قصّة الخلق، واصطفاء آدم، وسجود الملائكة لآدم، وشجرة الخلد، وخروج آدم من الجنة، وقصّة ابني آدم، ولا زال المؤلف يتوقف مع مخرجات هذه القصّة، ويكررها في محاضراته، وبرامجه في البث الفضائي(١).

وسأسير في عرض أهم ملامح تلك القراءة، وتعقبها، وفق عنونة كتاب القصص وترتيبه، وهو الكتاب الأدل على المطلوب، ومن خلال ما عرضه في الفصل الأول والثاني؛ كنماذج على قراءته المعاصرة.

المطلب الأول: خلق آدم عليه السّلام.

أولاً: توطئة

قد افتتح المؤلف هذا الموضوع بتوطئة سجل مطلعها مجازفة، ومخالفة لقواعد المنهج العلمي، بإعطاء نتائج مسبقة لقصّة آدم، وبأسلوب يوحي بإقرارها وكونها مسلمة، مع أن الواقع بطلانها، حيث قال: "تعد قصّة آدم من القصص التي تشكل فهمهاً بشكل رئيسي على ركام من الأساطير والخرافات، والتي تبني هيكل قصّة الخلق في الديانات كلها. فمنها بدأت الخطيئة الأولى، وفيها تأسست دونية المرأة، وعلى أطرافها تشكل حاجز يمنع النظر العلمي في نشأة الخلق وتطوره. ولا تكاد روايتها المفسرة تسلم من شك يرد على سندها أو متنها، إذ لا نجد فيما بين أيدينا من تفسير لها إلا ما يرتبط بالخيال والغريب. وقد استأثر البناء الروائي المعجز وغير القابل للتعقل بحصة الأسد، تاركاً للنعرة الأيديولوجية المسيسة جزءاً ذا تواصل حميمي معه، ليضمن رسوخه في حقل مسلمات الدين"(٢).

والحقيقة أن قصّة آدم، وإن طال بعض أصولها التحريف في كتب أهل الكتاب، كمسألة: الخطيئة، ودور زوج آدم في إغوائه، إلا أنها ضبطت ملامحها في الإسلام بآي القرآن، والروايات الصحيحة، وتنبيه الراسخين من العلم من علمائنا على الإسرائيليات فيها، وعليه يسقط التعميم والحصر الذي ادعاه المؤلف، وفتحت الآفاق والأنفس لكل نظر علمي، وفق

---

١) ينظر: مثلا الحلقات ١٦، ١٧، ٤٢، ٤٣ في برنامج التفكير والتغيير،
https://www.youtube.com/watch?v=61vtLcFUfew

٢) القصص القرآني: قراءة معاصرة ١/ ٢٢٧.

حقيقة علمية ثابتة، أيدتها الآيات، بل وكانت علماً على كونها معجزة، وكذلك يسقط حكمه على تناول المفسرين للقصص النموذج الأجهل في نظره -كما يفهم من كلامه- وقد ألصق فيهم حطب ليل وفتنة بالروايات والأساطير .

وقد تبين سابقاً، عدّ شحرور تصديقهم بالمعجزات خوارق العادة لا يستطيع أحد الإتيان بمثلها مسبة، وعجزاً وجموداً فكرياً، وأما قراءته فلا تقف أمام هذه الوقائع وقفة العاجز؛ فليس كل ما لا يدخل ضمن معقولات الإنسان يراه معجزاً، بل المعجزة تقدم في عالم المحسوس عن عالم المعقول وقت المعجزة فقط، وبقفزات معرفية ومستقبلية لا بد أن يأتي تأويلها فهي معجزة لأهل زمانهم فحسب[١]، وعدّ ثبات المفسرين على مثل ذلك وغيرها من ضبط ما هو غيب لا مجال للعقل فيه من مظاهر عدم القابلية للتعقل، بل مراوغة ومؤامرة، تضيق على العقل وتحجزه بالمسلمات، فتبقى سلطة الفهم والحكم حكراً على الفقهاء والسلاطين[٢].

ثم ينطلق المؤلف بمقارنة مقحمة، واستطراد مكرور، للثناء على قراءته المعاصرة المتفردة ببنائها على بينات العلم والمعرفة، والبعد عن التّخرّصات، والصّدق مع التاريخ منهجاً وتأويلاً، وذمه في المقابل لما يسميه بالمنهج السلفي، أو منظومة العقل السلفي، فلم يكتف بما جعله أحد مداخل هذا الكتاب حيث سود ما يقارب مئة صفحة -كما مر سابقاً- في مدخل أسماه إشكاليات النموذج المعرفي السلفي، مشنّعاً عليهم بأوصاف تتعارض مع أدبيات المنهج العلمي، في احترام الآخر، كوصفهم: بالإفلاس الفكري، والتحايل، والتدليس، والفكر الاستعلائي، والفهم السقيم[٣]، وغيرها كثير، وبما ذكره خارج هذا العنوان الصريح في التنظير لمداخل هذا الكتاب، ومنذ بدايته[٤]، حيث عاد هنا ليصوره بالقابع في ركام الأساطير والروايات الباطلة، ويلبس على الحق؛ بدعوى خطأهم وجهلهم بمعاني ودلالات الألفاظ الكتاب، وأثر ذلك في استلاب حرية الإنسان وكرامته، وإسقاط للعقل والمنطق والدليل المادي لصالح الخيال المؤدلج، مما يستدعي إلى طرح بديل عقلاني، يصل بين مكتسبات العلم وآيات التنزيل، ويؤسس لمفاهيم إنسانية، ويدرك سقف الحضارة العالي؛ هي قراءته المعاصرة بلا شك، وهي في مقامها هنا في قصّة آدم قراءة سابرة للنفس الإنسانية، تبني قصّة الخلق على أسس علمية، وتؤسس لجدل الإنسان مع ذاته، ومع محيطه لا مع أساطيره، وتسفر عن مضامين، اجتماعية وأخلاقية .

وقبل أن نمضي في عرض مصداق هذا المنهج العلمي، نعتب على المؤلف زهوه، واستئثاره بسلوك الجادة والمنهج القويم، فهب أنّ قراءته هي القراءة المثمرة سمناً وعسلاً، أفلا يمكن أن تشاركه جموع من الأمة تلك الثمار قديماً وحديثاً؛ لكن يبدو أنه نسي، أو تناسى؛ من ترداده لنتائج باطلة، لمقدمات مفترضة، لصورة وهمية، تقلب ديانة السلف، وأهليتهم في التفسير، وتدقيقهم في الروايات، إلى مركب عجيب، من السفه والجهل والمراوغة، وستبقى هذه الصورة حاضرة معه، يقحمها في غالب قراءته للقصّة تأصيلاً وتطبيقاً[٥]، مما يعكر على تتبعها في هذا الموجز، ومما ينبئ عن أمرين:

---

١) ينظر: القصص القرآني ١/ ٣٠.

٢) ينظر: القصص القرآني ١/ ١٣٠.

٣) ينظر: القصص القرآني ١/١٣٠، ١٣٣،١٣٩.

٤) ينظر: مثلاً: القصص القرآني١/ ١٦، ٢٩، ٣٠.

٥) ينظر: مثلا القصص القرآني ١/ ٢٣١، ٢٥٨ -٢٦٢.

الأول: أنه لا يعني بالنموذج السلفي علماء طائفة معينة، إنما يعني بهم عموم علماء المسلمين، بل الإسلام نفسه؛ كما سيظهر في تشكيكه بمصادره المعتبرة.

والثاني: أنه يعاني من فوبيا؛ من ثراء هذا النموذج السلفي وتراثه، فلا يفوت سانحة لقود جموع المتنورين إلى تلك التّهم، وذلك الوَهم.

ثم يتمم المؤلف توطئته ببيان بعدي القصّة، الّذَيْن يشكلان معاً محوري اشتقاق العبرة، الأول: علمي مرتبط بعلوم الآثار والأنثروبولوجيا والفيزيولوجيا. والثاني: البعد التأويلي والفلسفي، وفق منهجية تحليلية لسانية في النص.

أي أنه سيعتمد على العلوم التجريبية، وعلى سقفه المعرفي، في تحليل لغة النص.

ويؤصل المؤلف للتعامل مع هذه الأبعاد فيقدم البعد الأول، ويجعله حكماً على الثاني، قال:" وفيه نختبر مصداقية التنزيل الحكيم؛ في إنبائه عن ماضي الإنسان اجتماعياً وفيزيولوجياً. وذلك بعقد المقارنة، بين ما استقر نبأه من خلال مكتشفات الواقع المشهود على يد الراسخين في العلم، وبين ما تكشفه لنا من خلال تأويل المتشابه في الحديث الحق (الآيات البينات)، الذي أنزل من اللوح المحفوظ والإمام المبين، وفي قراءتنا هذه يكون فصل القول للعلم، وما توصلت إليه نتائجه... فما يرسخه العلم لا ينقضه تأويل المتشابه... فإذا استقر العلم على حقيقة؛ فمن غير الممكن أن يكون للتنزيل الحكيم قول ينقضه..."[١].

و يهالنا مطلع هذا النص، والحديث عن القرآن بما لا يليق، وجعله مقاماً للاختبار تحت سطوة العلم، لكنه أمر طبيعي لمن استباح حمى هذا الكتاب بتقسيم مختلق مشرذم لا دليل عليه، جعل فيه آيات الوجود التاريخي، وهي آي القصص، لا تُقيّد بأي شيء مما قاله السلف، إنما هي تبع لقواعد البحث العلمي والأرضية العلمية في عصره[٢]، وهو امتداد لقافلة المنبهرين بحضارة الغرب، التي بنيت على أطلال تحرر العلم من قبضة الكنيسة المسيحية المحرفة واستبعادها، ففغفل هؤلاء أو تغافلوا أن الإسلام ليس هو الكنيسة، واخترعوا صراعاً بين الدين والعلم؛ فمن الثابت، أن لا تعارض بين الدين وحقائق العلم القطعية، لا نظرياته المهترئة، مما يجعل المعركة المفترضة عند أصحاب القراءة المعاصرة بين الدين والعلم، منتهية[٣].

وأنقل هنا لصاحب تفسير المنار –أحد رواد المدرسة العقلية الحديثة في التفسير– ما يضبط المسألة، حيث قال: "كما أخطأ من قالوا: إن الدليل العقلي هو الأصل فيرد إليه الدليل السمعي، ويجب تأويله لأجل موافقته مطلقاً، والحق كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إنّ كلاً من الدليلين، إما قطعي وإما غير قطعي، فالقطعيان لا يمكن أن يتعارضا حتى نرجح أحدهما على الآخر، وإذا تعارض ظني من كل منهما مع قطعي وجب ترجيح القطعي مطلقاً، وإذا تعارض ظني مع ظني من كل منها رجحنا المنقول على المعقول؛ لأن ما ندركه بغلبة الظن من كلام الله ورسوله أولى بالاتباع مما ندركه بغلبة

---

١) القصص القرآني ١/ ٢٣٠.

٢) ينظر: الكتاب والقرآن ص ٩١.

٣) ينظر: نقض منهجية القراءة المعاصرة، عباس شريفة ص ٤٤.

الظن من نظرياتنا العقلية التي يكثر فيها الخطأ جداً؛ فظواهر الآيات في خلق آدم مثلاً مقدم في الاعتقاد على النظريات المخالفة لها من أقوال الباحثين في أسرار الخلق وتعليل أطواره ونظامه، ما دامت ظنية لم تبلغ درجة القطع"(١).

وأما انتحاله لوصف الراسخين في العلم للماديين؛ فأمر مفهوم؛ فإذا علا العلم التجريبي فوق القرآن فسيصبح رواده هم الراسخون في العلم، بل وورثة الأنبياء، وأئمة المتقين، والعياذ بالله! يقول محمّد شحرور:

"إن الفلاسفة، وعلماء الطبيعة، وفلسفة التاريخ، وأصل الأنواع والكونيات، والالكترونيات، هم ورثة الأنبياء؛ لذا قال: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران:٧]"(٢)، ويقول مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ [الفرقان:٧٤]: "...لذا فإن أئمة المتقين في فرقان محمّد صلّى الله عليه وسلّم، هم من أئمة العلم المادي، وأئمة الناس الذين يؤمنون بالبينات المادية، وذوي التفكير العلمي البعيد عن الخرافة ..."(٣).

ثانياً: تطور الإنسان بين التفاسير والعلم والتنزيل الحكيم.

أ- آدم في التفاسير والكتب المقدسة:

وتحت هذا العنوان ينقل المؤلف(٤) إجماع المفسرين، والمؤرخين، وشارحي الكتاب المقدس؛ أن آدم هو أول البشر، ولم يكن قبل ذلك من وجود لكائنات بشرية، ثم يمثل براويتين من تاريخ الإمام الطبري، والبداية والنهاية لابن كثير، ليستا نصاً في المسألة؛ فالأولى: في مراحل خلق آدم من تراب. والثانية: في جعله خليفة من الله وتعقيب الملائكة. ثم ينقل عن سفر التكوين، في إصحاحه الأول والثاني، في خلق آدم بعد خلق البهائم ونحوها، وكذلك خلق حواء، ثم يعقد مقارنة بين رواية في تاريخ الطبري، ونص مطابق لها في التلمود، ليصل إلى نتيجة أنّ روايات أهل الكتاب هي مصدر كتب التفسير قديماً وحديثاً التي ينقلونها دون تمحيص، وتغليب للخيال الروائي على المادية، وهذا من معهود الكاتب في بناء نتائج باطلة بمقدمات مفترضة، وأساليب مغلوطة؛ فإن ما توصل إليه، طريقه الاستقراء والبينة، لا الادعاء! فإن أوردت بعض التفاسير مثل هذه الروايات في القصص -بين مكثر ومقل- استئناساً في بيان معنى أو كشف مبهم، فإن ذلك لا يؤهل لكون هذه الروايات مصدراً لكتب التفسير جميعاً، ثم إن الكثير من المفسرين أوردها للتنبيه عليها، والكاتب بافتراضه هذا يعرض صَفحاً عن جهود العلماء قديماً وحديثاً في نقد هذه الروايات، وتنقية التفسير عموماً، والقصص خصوصاً، بل وحتى كتب التأريخ التي لم يألو العلماء جهداً في تنقيح أخبارها(٥)، ثم ثلث الكاتب بنموذجين لم يسمهما:- أحدهما من أعلام الدعاة، والثاني من أشهر رجال الدين وأبرزهم على حد تعبيره، حيث رأى الأول(٦)على الرغم من كونه من الدعاة المعاصرين الذين يجهدون

---

١) تفسير المنار، محمّد رشيد رضا ٢١١/١.

٢) الكتاب والقرآن ص ١٠٤.

٣) الكتاب والقرآن ص ٥٢٦.

٤) ينظر: القصص القرآني ٢٣٢/١.

٥) ينظر: مثلا صحيح وضعيف تاريخ الطبري تحقيق محمّد طاهر البزنجي، ومحمّد صبحي حسن حلاق.

٦) يعني: طارق سويدان، في سلسلته المسجلة قصص الأنبياء.

في دعوة الشباب لإعمال العقل وتدبر القرآن، والثاني[1] وعلى الرغم من كونه عالم شهير ابتدأ حديثه عن دعوة القرآن للتفكر والتدبر أن آدم أول الخلق، وأن آدم من تراب، وأن تعقيب الملائكة على كلام الله بجعل آدم خليفة قد يشير في أحد توجيهاته إلى وجود مخاليق قبل آدم، وهم الجن. وكأنّي بالمؤلف، يرى التناقض بين دعوة الناس إلى التعقل، وبين الأخذ بظاهر القرآن وصحيح الروايات، فهو لا يفهم التقديم إلا للدليل العلمي الذي يجب أن يكون في النفس أقوى من تقديس السلف، وخيرية القرون الأولى[2][3].

وهو يختبئ خلف حديث مكرور، عن تقليد أعمى، وجمود المفسرين خلفاً على اتباع أسلافهم؛ الذين يقتاتون على ركام الأساطير؛ بطعن صريح في القرآن، وتفريغ ظواهره، والخروج عن الإجماع؛ إذ يراه اجتماع على ضلالة، كما سيأتي.

ب-**تطور البشر في العلم**:

وهنا، يأخذنا المهندس، في بيان نظرية داروين التي ترى أن المخلوقات نشأت من خلية واحدة، ثم انقسمت وتطورت، وظهرت مخلوقات متعددة الخلايا، حتى ظهرت النباتات والحشرات والحيوانات، ثم الثدييات، ثم نوع منها وهو القرود، ومنه تطور الإنسان.

وأن هذه النظرية أحدثت جدلاً في الأوساط الدينية لتحديها لقدرة الله في جملة "كن فيكون "، وفي الأوساط العلمية لوجود حلقة مفقودة، وهي عدم التوصل إلى معرفة كيفية تطور القرود إلى بشر.

والجدير بالإشارة هنا، أن المهندس لم يحقق فهم هذه النظرية أصلاً، ويبدو أنه قرأها هي أيضا قراءة معاصرة خرجت عن أصلها، فقد قال داروين بوجود جد أعلى مشترك بين القردة والإنسان، لا أن الإنسان نفسه نتج عن القردة[4].

و نعود لشحرور، الذي لم يتوقف عند الجدل الديني؛ الذي تتناقض نظرية داروين فيه مع الديانات السماوية جميعها، والتي تقول بأن خلق آدم كان خلقاً مقصوداً مستقلاً، ولم يتطور عن نوع من الأنواع، وانطلق يناقش نظرية دارون ويذكر المستكشفات العلمية، وأنواع المستحاثات التي تدعم أن العقل البشري، والسمات الفيزيولوجية قد تطورت جنباً إلى جنب مع تطور الدماغ البشري وتطور ثقافته، وأن دفن الموتى وهو من مظاهر تطور عقل الإنسان، ظهر في الفترة التي عاش فيها نوع بشري يدعى (النياندرتال)، جنباً إلى جنب مع جد الإنسان الحالي (الإنسان العاقل)، وأن الإنسان الحالي تطور من سلالة كائن شبيه بالقرد، ولكنه ليس حيواناً أو قرداً، وذلك نظراً إلى الفروق الجينية والخصائص الفيزيولوجية، ولكنها تبقي الحلقة المرتبطة بتطور القرد إلى إنسان مفقودة، بالرغم من هذه المكتشفات العلمية وأجهزتها المتطورة، ويرد سؤال آخر: لماذا انقرضت باقي المجموعات البشرية ولم تتطور؟ ولم كان تطورها مختلفا عن تلك السلالة التي أحدثت تراكماً ثقافياً وحضارياً؟ ثم يلمح المؤلف أن قراءته المعاصرة في التنزيل ستسدد نظرية داروين، وتكتشف الحلقة المفقودة.

٥) يعني: يوسف القرضاوي، في حلقة من برنامج الشريعة والحياة، على قناة الجزيرة بعنوان بداية الخلق ونظرية التطور بث في ٢٠٠٩/٩/٢٢. https://www.youtube.com/watch?v=nIaL99uXukU

٢) ينظر: القصص القرآني ١/ ٢٤١.

٣) هنا يشكك المؤلف في حديث النبي صلّى الله عليه والسّلام: "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم "، ويعده سبباً لتأخر الأمة وحرمانها من نشر عالمية الدين، ودعوة إلى الجمود والإحباط.

٤) ينظر: بؤس التلفيق، يوسف سمرين ص ١١٥.

ج- تطور البشر في التنزيل الحكيم:

ويقدم فيه شحرور خلاصة النتائج التي توصل إليها قبل عرض أدلته؛ ليبين أنه باستخدام ترتيل آيات خلق الإنسان أي استقراؤها وتتبعها وجمعها -وهي إحدى القواعد المنهجية لقراءته المعاصرة كما تبين سابقاً- توصل إلى:

- أن لفظ البشر يدل على الوجود الفيزيولوجي الأول؛ لكائن حي تطورت منه سلالة الإنسان الحالي بعد نفخ الروح.

- أن الإنسان هو الكائن البشري المستأنس (اجتماعي) غير مستوحش.

- أن البشر مر بمراحل تطورية من كائن همجي يمشي على أربع، وصولاً إلى المرحلة الإنسانية بعد نفخ الروح، وآدم يرمز إلى هذه المرحلة الوسيطة بين البشر والإنسان المستأنس.

وبالتالي، فإن التنزيل الحكيم يؤكد -وبشكل جلي وواضح- على أن خلق الإنسان كان تطورياً، وأن نفخة الروح هي الحلقة المفقودة في نظرية داروين حول بدأ الارتقاء[١].

ولا أتوقع أن المؤلف كان بحاجة إلى أدلة، أو قراءة ما في التنزيل للتوصل إلى تلك النتائج؛ لأنه قرر مسبقاً أنه لا يستطيع إنكار الدليل المادي على تطور البشر، فلا يستطيع أن ينكر نظرية دارون لأنها أقرب إلى الحقيقة العلمية، وأنها بحاجة إلى التسديد بنقطة واحدة بالذات، وهي أن أصل الإنسان ليس قرداً بل شبيهاً بالقرد، ولكنه يفارق الحيوانات بقدرته العقلية على صنع أدواته وتطويع المادة للحفاظ على حياته[٢]، فالمهندس لا يمكن أن يخرج على دارون، وإن خرج على إجماع القراءات الإيمانية[٣] واليهودية والمسيحية بأن آدم وزوجه هو بداية المجتمعات البشرية[٤]، وهو المفضل عنده في تفسير آيات الخلق والسيد وإن لم يعرف القرآن[٥]، قال :"وخير من أول آيات خلق البشر عندي، هو العالم الكبير (داروين) فهل عرف داروين القرآن؟، أقول ليس من الضروري أن يعرف، فقد كان يبحث في الحقيقة في أصل الأنواع، والقرآن أورد حقيقة أصل الأنواع، فيجب أن يتطابقا إن كان داروين على حق..."[٦].

---

١) ينظر: القصص القرآني ١/ ٢٥٢.

٢) القصص القرآني ١/٢٥٣- ٢٥٤.

٣) لم يعبر بالإسلامية؛ لأنه يرى أن الإسلام هو الدين الخالص من النقائص والعيوب، سهل الانقياد، ولا عنت فيه، بحيث يصبح ممتنعاً على الناس، وعليه فهو ينتظم الملل جميعاً: اليهودية والنصرانية، بل والبوذية أيضاً، ولا يخص فقط أتباع محمّد، فيصبح قوله تعالى: {إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ} [آل عمران:١٩] مطية وحجة لادعاء نجاتهم وزج الآخرين في جهنم. (ينظر: الكتاب والقرآن ٧١٧- ٧١٨ والقصص القرآني ١/١٤٢وقد عبر عنهم بأتباع الرسالة المحمّدية ينظر: القصص القرآني ١/ ٢٥٨، أو الديانة الإسلامية الموروثة (ينظر: القصص القرآني ٢١١/١).

٤) ينظر: القصص القرآني ص ٢٥٤.

٥) ينظر: نظرات شرعية منحرفة علي حرب وآخرون ١٩٨/٣.

٦) الكتاب والقرآن ص ١٠٦.

ثالثاً: فهم آيات القرآن وفق حقائق العلم:

وفيه يبدأ المؤلف بعده الثاني في تناوله للقصّة؛ ليدعي أن التنزيل الحكيم واضح في تقرير التطور؛ مؤيد أنه كان على شكل مجموعات انقرضت جميعها ما عدا سلالة واحدة، وهي الإنسان العاقل.

أ- آيات الخلق والتسوية والتعديل[1].

قوله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ ﴾ [نوح: ١٣ – ١٤].

رأى أن أطواراً هي مراحل تطور خلق البشر بحسب نظرية التطور، بناء على معنى لغوي نقله من لسان العرب وهو: الحالات المختلفة والتارات والحدود، وهو معنى الأطوار عامة، ولم ينقل عن اللسان ما نقله في بيان معنى الأطوار في الآية، وهي: مراحل الخلق من طور التراب أو الطين، ثم النطفة، فالعلقة، فالمضغة[2]، وهذا الذي يظهر بالترتيل الذي يزعم تطبيقه، قال الشنقيطي عن الأطوار في الآية : "أوضحها الله إيضاحاً تاماً في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ۝١٤ ﴾ [المؤمنون:١٢-١٤]"[3].

ب- قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾ [الانفطار:٧-٨]، وقد رأى أن هذه الآية تتوافق ومرور الإنسان بهيئات مختلفة، بدءاً من كائن يمشي على أربع إلى كائن منتصب القامة، فالتسوية أنه أصبح يمشي على قدمين، ثم عدله، والتعديل هنا تعديل للصورة والخصائص الفيزيولوجية، وأيد ذلك بنقل عن اللسان أن معنى عادله، وازنه، وتعديل الشيء: تقويمه، وهذه المعاني اللغوية هي ذاتها التي اعتمد عليها المفسرون في أنه تعديل في صورة الإنسان، قال ابن عطية: "والمعنى، عدل أعضاءك بعضها ببعض. أي: وازن بينها"[4]، وقال ابن كثير: "أي جعلك سوياً، مستقيماً، معتدل القامة منتصبها، في أحسن الهيئات والأشكال"[5]، فهو تعديل لصورة الإنسان ذاته وتقويمها فلا تفاوت، في أحسن تقويم كما جاء في آية التين، وأما أنها تعديل للخصائص الفيزيولوجية، حيث يمثل كل نوع من الكائنات المتطورة صورة من هذا التعديل فخروج عن معاني اللغة، ومن اعتقاد المؤلف قبل استدلاله استجابة للخيال العلمي.

ج- قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ﴾ [التين: ٤].

وأما هذه الآية فقد خرج بها عن معاجم اللغة التي يعتمدها ليأتي بمعنى منقطع عن السياق، والترتيل الذي أصل له، فالتسوية والتعديل في الآية السابقة هو أحسن تقويم أي: "في أحسن تعديل لشكله، وصورته، وتسوية لأعضائه"[6]،

١) ينظر: القصص القرآني ٢٥٤/١ – ٢٥٥.

٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور ٥٠٧/٤.

٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي ٢٧٥/٣.

٤) تفسير ابن عطية ٤٧٧/٥.

٥) تفسير ابن كثير ٣٤٠/٨.

٦) تفسير الزمخشري ٧٧٤/٤.

لكن المؤلف رأى معنى عجيباً بتطويعه للآيات الكريمات لدعم أركان نظريته، قال: "يمكن أن نفهمها على أنها في أحسن زمن، وذلك بناء على فهمنا للتقويم بأنه الزمن، وهذا الزمن هو زمن نفخة الروح"(١).

د- قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ۝٣٧ ﴾ [الكهف: ٣٧].

رأى المؤلف أن كلمة رجل هنا لا تعني الذكورة، فلفظ الرجل في التنزيل الحكيم لا يعني بالضرورة الذكر، واستدل على توسيع المعنى -لا على اعتماده في الآية- بما نقله عن تاج العروس أنها تأتي بمعنى الراجل والكامل، ليصل إلى أن المقصود بـ ﴿سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾: أي جعلك مستوياً راجلاً على قدميك.

ونحن مع ثراء لغتنا الغالية، وأنه قد تكون بعض الأسماء مشتركة معبرة عن أكثر من معنى، لكنَّ السياق هو الذي يحدد المعنى، فرجالاً مثلاً في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة:٢٣٩] في مقابل الركبان، هي جمع راجل الماشي على رجليه، لكن أي سياق هذا الذي نفهمه هنا يجعل ﴿سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ أي سائراً على قدميك؛ سوى سياق اخترعه المؤلف لينتظم ونظريته، ويخلص إلى أن الإنسان وفق التنزيل الحكيم خلق وفق مراحل تطورية ﴿خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ، وكان من مراحل تطوره أنه لم يكن منتصباً، ثم انتصب فـ﴿سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ ، ثم توازنت هيئته وتقومت ﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ إلى أن وصل إلى اللحظة الزمنية المناسبة، وهي نفخ الروح ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾.

لوحة هندسية مسبقة التصميم انتظمت أركانها في مكانها المطلوب!.

ب- آيات البشر والإنسان(٢).

وهي أحد مرتكزات قراءته المعاصرة التي تخدم التطور، وفيها يأخذ بمنع الترادف، متوهماً التفرد بهذه الذائقة البلاغية كما بيناً سابقاً، فرأى أن البشر هي الهيئة الإنسانية الفيزيولوجية المادية وفي مقابل الملائكة من خلال الآيات الثلاثة: قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝٢٠ ﴾ [مريم:٢٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۝٣٣ ﴾ [المؤمنون:٣٣]، وقوله تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٤﴾ [المؤمنون:٢٤]، وأن البشر انتشروا في الأرض قبل الأنسنة اعتماداً على قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠ ﴾ [الروم:٢٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝٥٤ ﴾ [الفرقان:٥٤]، ومن قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢ ﴾ [ص:٧١-٧٢]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١﴾ [الأعراف:١١] دليلاً لمرحلة الأنسنة؛ ليصبح كائناً اجتماعياً، بعد اجتيازه لمرحلة التسوية ونفخة الروح.

---

١) القصص القرآني ص ٢٥٥.

٢) القصص القرآني ٢٥٦/١ -٢٥٨.

ثم خلص مما سبق أن مراحل تطور الإنسان ثلاثة، وهي: البشر: وهو مخلوق ترابي طيني من عناصر الأرض ولم يكن منتصباً، والآدمي: وهو مخلوق ترابي مستو عاقل وواع بعد نفخ الروح، وإنساني: وهو مخلوق ترابي عاقل مكلف يملك لغة التفكير والاتصال، وعليه فآدم هو أبو الإنسان لا البشر، والتكريم والتعليم للإنسان وليس البشر، وأن الإنسان هو السلالة الوحيدة من المجموعات البشرية التي بقيت على الأرض، وأن آدم لفظ معبر عن مجموعة بشرية عاشت جنباً إلى جنب مع مجموعة أخرى فنيت لاحقاً.

وأقول، وبالله التوفيق: قد أحسن المؤلف إذ عدّ بترتيله للآيات أن البشر هي الهيئة الإنسانية الفيزيولوجية المادية، وهو جنس مقابل جنس الملائكة، وأن الإنسان هو جنس عاقل مفكر اجتماعي يأنس إلى غيره.

وهو ما نص عليه أصحاب المعاجم والمفسرون، فقالوا بأن حد البشر والإنسان واحد، و الإطلاق باعتبارات مختلفة، فإذا اعتبر في الإنسان حسيه وجثته وظاهره وهيئته أطلق عليه البشر[1]، فهو "اسم المشهود من الآدمي في جملته"[2]، وهي هيئة ممتازة عن غيرها كالحيوان بظهور البشر، وخلوها من الريش أو الصوف والوبر ونحوها[3]، وهي هيئة حسنة من البشارة[4]، والناس متساوون في البشرية، ولا تفاضل لهم في ذلك، ولذا لما أراد الكفار الغض من الأنبياء اعتبروا ذلك فقالوا: ﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المدثر:٢٥]، و﴿أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ ﴾ [القمر:٢٤]، و﴿ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾ [يس:١٥]، و﴿ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا ﴾ [المؤمنون:٤٧]، و﴿أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا﴾ [التغابن:٦]، أي متساوون معنا، وأما الإنسان فيطلق باعتبار المعاني القائمة بهذا البشري؛ من كونه اجتماعياً، مدنياً بطبعه، مستأنساً بغيره، واعياً مكلفاً فالناس متساوون في البشرية، متفاضلون في المعارف الجليلة والأعمال الجميلة التي هي من لوازم الإنسانية[5]،وكثيراً ما يذكر الإنسان في القرآن في معرض الذم حديثاً عن طبائعه، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم:٣٤]، ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الإسراء:٦٧]، ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الكهف:٥٤]، وقوله: ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ [عبس: ١٧]، وقوله:﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ ﴾ [العصر:٢][6]، وكلها متناسبة مع إطلاق الإنسانية، لا البشرية التي هي إشارة لظاهر وهيئة الخلق.

ولكن الذي لا نستطيع متابعة المؤلف عليه، هو أنه قرأ في التنزيل الحكيم أن البشر هم كائنات حية همجية، من المملكة الحيوانية تمشي على أربع لا عقل لها ولا وعي، وأن الله اصطفى منها جماعة؛ فأصبحت منتصبة عاقلة بنفخ الروح، وهي الآدمية، ثم تطورت إلى أخرى عاقلة ومفكرة، بقيت حيث فنيت المجموعات الأخرى. لأنه في الحقيقة لا قراءة لنص لا وجود له، بل دليله خارج عن التنزيل من أستاذه داروين، فمن أين أتى المؤلف الكريم بدلالة آيات البشر على الهمجية ونقص العقل، ألم ينظر إلى مثل قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا

١) ينظر: عمدة الحفاظ، السمين الحلبي ١/١٩١.

٢) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي، تحقيق: محمادي بن عبد السّلام الخياطي ص ٥٩١.

٣) ينظر: تاج العروس، الزبيدي ١٠/ ١٨٣.

٤) ينظر: الفروق اللغوية، العسكري ص ٢٧٦، ومقاييس اللغة، ابن فارس ١/٢٥١.

٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ص ١٢٥ بتصرف يسير.

٦) ينظر: تفسير أبو حيان ٦/١٠٢.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف:٣١]، أفيعقل أن يكون يوسف عليه السّلام –وهو النبي الكريم المكلف بالدعوة والإحسان– غير عاقل! ألم يكن من السلاسة الإنسانية التي بقيت بعد انقراض غيرها، أم أن الحق أن النسوة لفتهن هيئته وأكبرن أن يكون مرآه ووضاءته كمرأى البشر الذي ينتمون إليه، فنَسبْنه إلى الملائكة.

وكيف يؤتى الحكم والنبوة، ويوحى إليه؛ لمن هو كائن من المملكة الحيوانية التي لا تعقل، أوليس هو من سلالة الإنسان التي عزت عن الانقراض، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران:٧٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف:١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى:٥١][1]، ثم كيف فهم من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [الروم:٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٤]، انتشار البشر الهمج قبل الأنسنة، بل إن هذا الانتشار في الأرض للضرب في مناكبها، والبحث عما فيه قوام معيشتهم، والتي لا تقوم أسبابها إلا بالأنس إلى بعضهم إلى البعض، ثم الترقي في ذلك الأنس إلى النسب والصهر، وكل ذلك خليق بالإنسان المدني المفكر العاقل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء:١]، فالانتشار هناك هو البث لأركان المجتمعات الإنسانية هنا[2]، وهو مقام نعمة ومنه من الله، ثم إذا ادعى الكاتب أن الأنسنة مرحلة تطورت عن البشر الحيواني، فماذا سيفعل بآيات واضحات الدلالة، تصرح بنشأة الإنسان بجلاء ينتهي معه أي شك، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر:٢٦] وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة:٧-٩]، والحديث فيهما عن الإنسان لا البشر[3]، ثم انظر إلى آيتي السجدة وقد أسقطتا مراحل تطور الأنواع المزعومة، فمن الذي كان قبل نفخ الروح، الأنسنة أم البشرية الحيوانية. ثم أين فكرة التطور والتسوية من كائنات تمشي على أربع انتصبت على قدميها تمهيداً للأنسنة، من قوله تعالى في سورة النور: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور:٤٥]، فهي صريحة الدلالة "في أن المخلوقات جميعها خلقها الله خلقاً مستقلاً، دون أن يتولد بعضها عن بعض، والمتدبر للآية الكريمة يدرك ذلك لأول وهلة"[4].

وأما استدلاله بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الأعراف:١١]، على مراحل التطور، وبأزمان متطاولة بين كل مرحلة اعتماداً على أن (ثم) للترتيب الزماني؛ فإنه لا يسلم، فالأليق بها هنا أن تكون للترتيب الرتبي؛ فإن رتبة التصوير، وهي حالة كمال في الخلق، بأن كان الإنسان على

---

١) ينظر: القرآن وأوهام القراءة المعاصرة، جواد عفانة ص ٢٠٩، والإشكالية المنهجية في الكتاب والقرآن، ماهر المنجد ص ٥٧٢.

٢) ينظر: تفسير الزمخشري ٤٧٢/٣.

٣) ينظر: الإشكالية المنهجية في الكتاب والقرآن، ماهر المنجد ص ٥٧٢.

٤) قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس ص ٢٣.

الصورة الإنسانية المتقنة حسناً وشرفاً، بما فيها من مشاعر الإدراك والتدبير أرقى من حدوث وجوده[١]، وهذا يدعم أن الترقي في تاريخ الإنسان كان ترقياً في تحقق خصائصه الإنسانية، وليس ترقياً في وجوده، وتطوره من الأنواع الحيوانية، كما رأت الدارونية، وحتى لوعد التراخي هنا زمنياً؛ فإنه لا يعني أن ثمة أزمان متطاولة بين خلق آدم وتسويته ونفخ الروح فيه، فلا يجوز تقييدها بملايين السنين؛ ف(ثم)الزمنية قد تصدق على الأيام بل الساعات[٢].

وأما مسالة فناء آدم، وبقاء آخر، فلم يأت الكاتب للآن بأدلتها من التنزيل الحكيم، بل هي من صور خياله العلمي.

رابعاً: خلق البشر:

وفيه ينتقل المؤلف إلى مراحل تخليق الإنسان في العلم، وقول التنزيل الحكيم في هذا الشأن، ويبين أن الكتب المقدسة والتفاسير لا تفرق بين خلق البشر الأول وخلق آدم؛ لاعتمادها على الاساطير، ونبذها العلم، كنظرية التطور وجعلها تحدياً للخالق. وهو الأمر الذي يحلو له أن يكرره هنا وهناك، وقد أتى هذه المرة بطعن في حديث النبي صلّى الله وعليه وسلّم : (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)، على الرغم من تخريجه إحدى طرقه في البخاري[٣]، وتوجيهه كما قال صاحب الفتح: "أَيْ لَا ضِيقَ عَلَيْكُمْ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُمْ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ تَقَدَّمَ مِنْهُ صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم الزَّجْرُ عَنِ الْأَخْذِ عَنْهُمْ وَالنَّظَرِ فِي كُتُبِهِمْ، ثُمَّ حَصَلَ التَّوَسُّعُ فِي ذَلِكَ، وَكَأَنَّ النَّهْيَ وَقَعَ قَبْلَ اسْتِقْرَارِ الْأَحْكَامِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْقَوَاعِدِ الدِّينِيَّةِ خَشْيَةَ الْفِتْنَةِ، ثُمَّ لَمَّا زَالَ الْمَحْذُورُ وَقَعَ الْإِذْنُ فِي ذَلِكَ لِمَا فِي سَمَاعِ الْأَخْبَارِ الَّتِي كَانَتْ فِي زَمَانِهِمْ مِنَ الِاعْتِبَارِ"[٤].

ليدعي شحرور أنه حديث ملفق من ناقلي الأساطير لشرعنة فعلهم، في حين ارتضى حكم صاحب كتاب قصّة الحضارة في أن الأساطير: هي مصدر قصص الخلق والغواية والطوفان، ولا أعرف ما صلة كلام (ول ديورانت) بالقصص القرآني، فكلامه عن تفاصيل تلك القصص في التوراة والإنجيل، ثم ثلث الكاتب بجمل من الأساطير، وتناقضها في ذكر تعدد آلهة الخلق؛ ليصل إلى القول أن التنزيل الحكيم يشير في العديد من المواضع إلى التوافق بين بعض أقاويله، وبين أساطير الأولين.

ويرد كلامه بأن نسبة الأساطير إلى القرآن شبهة قديمة ألقاها المشركون تشغيبا على القرآن ونيلا منه لما عجزوا عن الإتيان به لا بحثاً عن حقيقته فرموه بما في نظرهم باطلا مختلقا كالأساطير، وقد سجل القرآن ذلك عليهم في مواضع عديدة لا أنه أثبت تلك الأساطير، ثم وجود مواضيع مشتركة بين الأساطير والقرآن كخلق الانسان و البعث والنشور والجنة والنار لا يعني أنها نقل عنها واعترف بحقائقها الجوهرية المجردة بعد تصحيحها وتنقيتها بواسطة القصص القرآني عما تلبس بها من أوهام وخرافة كما يتبنى الكاتب[٥]، ثم ها هو يقحم عبارة يحار المرء بين تشويشها واضطرابها وغرابتها، حيث يقول: "تبين

---

١) ينظر: تفسير ابن عاشور ٣٦/٨.

٢) ينظر: قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس ص ١٥٧.

٣) أخرج البخاري من حديث النَّبِيَّ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم قَالَ: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ..." صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ٤ /١٧٠، ح ٣٤٦١.

٤) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٥٧٥/٦.

٥) ينظر: القصص القرآني ١/ ٢١٠.

هذه الأسطورة أن التوافق في بعض تفاصيلها مع الكتب المقدسة والتنزيل الحكيم يبين أنها نقلت من ديانات سابقة، وأوحيت إلى أنبياء ثم شوهتها التحريفات والخرافات"[1] إذ كيف تنقل الأسطورة من الكتب القديمة، ثم يوحى بها إلى الأنبياء؟ فمن هو مصدر الوحي؟ أليس هو الله، أم أن الله أخذها من تلك الديانات، ثم أوحى بها إلى الأنبياء فحرفت وشوهت؟!

أ–مراحل تخليق الإنسان في العلم:

وهنا يسلم الكاتب حديثه عن الأساطير إلى العلم سيد الموقف ومفتاح الفهم، ويبدأ بعرض نظريات علمية في مراحل تطور الخلق، وكيف أن تحول المادة الميتة إلى مادة حية مر عبر سلسلة من عمليات تطورية شديدة البطء والدقة، احتاجت إلى ما لا يقل عن مليار سنة ليتم هذا التحول، ويظهر في هذه المراحل جدلية الطفرات الجينية والانتخاب التي تبين صيرورة التطور، ثم يأتي الموت ليفسح للأنواع القادرة على التطور بالمواصلة مقابل انتهاء الأنواع الأخرى غير القادرة على التكيف، ثم نقل تجارب العلماء في الوصول إلى الكيفية لتحولات المادة الميتة وانقسامها وصولاً إلى المادة الحية وتطورها إلى أشكال أكثر تعقيداً وصولاً إلى الإنسان ليصل إلى أن العلم حدد الزمن وهي مئات ملايين السنين، لكن لم يتوصل إلى كيفية التحول حيث وصل إلى تحول الميتة إلى مادة بين بين لا حيّة ولا ميتة، وأما التحول الأكبر لم يقدم له البرهان العلمي، وختم بأثر الماء وأهميته في نشوء الحياة، ولم يبين المهندس أثر هذا الحديث على قصّة آدم بيد أنه من الواضح أنه يريد أن يتمم دعمه لنظرية التطور ونقض القدرة الإلهية في خلق آدم الفجائي {إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾} [يس:٨٢].

ب– مراحل الخلق في التنزيل الحكيم:

مراحل الخلق في آيتي الحج والمؤمنون، وبدأ الخلق في آيتي العنكبوت والواقعة.

وفيه انتقل شحرور إلى دعم الفكرة السابقة بقراءته المعاصرة لآيات الخلق في التنزيل الحكيم التي وردت في مواضع مختلفة، حيث مثل لآيتي الحج والمؤمنون في بيان مراحل الخلق وترتيبها الزماني في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا﴾ [الحج:٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون:١٢-١٤]، ولم يتوقف عند الآيتين لا من حيث اللغة أو السياق ولا حتى دقيق الوصف القرآني لمراحل الخلق قبل اكتشاف العلم لها بقرون مما يؤكد أنه من عند الله، بل نبه إلى أن (ثم) والفصل بين الآيات بمواقع النجوم[2] على حد تعبيره، أي: رؤوسها التي تجعل كل آية في فكرة مستقلة تفيد بوجود حقبة زمنية طويلة بين سلالة من طين وبين جعل

---

١) القصص القرآني ٢٦٢/١.

٢) وهذا مصطلح خاص فيه ومعناه الفواصل بين آيات الكتاب، وأحد مفاتيح التأويل إذ يجعل لكل آية فكرة متكاملة، ينظر: دليل في مصطلحات التنزيل الحكيم، الموقع الرسمي د. محمّد شحرور. ومواقع النجوم إما أن تكون النجوم في السماء، أو نجوم القرآن، وهو ما كان ينزل مفرقا على النبي صلّى الله عليه وسلّم (ينظر: ......)، أما أن تكون رؤوس الآيات ومقاطعها فهو بدعة من القول.

النطفة، وأنه بناء على الثوابت الأرضية المعرفية لنظرية التطور من الخلية الواحدة؛ فإنه ينفي عن التنزيل الحكيم القول بالخلق الفجائي الخارج عن نواميس الوجود، وصيرورة التطور.

ثم يجعل المؤلف مثل هذا التوفيق مخلصاً من مأزق سقوط المعجزات الإلهية؛ بافتراض أن قدرة الله تكمن في الأمور الخارقة التي لا يتمكن العلم من تفسيرها، مما يؤدي إلى تقلص دور الله يوماً بعد يوم –تعالى الله عما يقول ويزعم علواً كبيراً– ، وأنه في دعوة التنزيل إلى البحث في بداية الخلق كما في قوله: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [العنكبوت:٢٠]، لدليل على أنه ليس لديه جواب واضح عن هذه الأسئلة، وأن في قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الواقعة:٦٢]، تأكيد أن الإنسان سيصل إلى مرحلة يعلم فيها النشأة الأولى، ودليل في وجه من يعتبر أن الله يقوم بسد الثغرات والفجوات الموجودة في نظريات النشوء وبدء الحياة، ويرون في العلم ونتائجه حرباً معلنة على قدرة الله، وأن حواجز هامانات الدين تسقط تباعاً، وتضرهم ولا تضر الله، ثم مثل لتلك الحواجز بتعطيل تجارب الاستنساخ، وتأسّف لمساندة رئيسي أمريكا (بوش وكلينتون) بتقييد تلك التجارب. ثم عاد لترداد فكرة التفاعل مع التنزيل الحكيم، وأنها نسبية بحسب الأرضية المعرفية فما عند العرب في عصر النزول ليس ما عند العلماء اليوم، فهو كتاب حي لأحياء، والله حيّ، لذلك لم يضع نفسه بشكل معجز في مواجهة العلم ليكون عقبة في طريق ارتقاء الإنسان وفهمه لوجوده، وفق المعارف الإنسانية. تعالى الله عما يقول علواً كبيراً.

ونقول في تعقب المؤلف، ما الصلة بين دلالة (ثم) في قوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ﴾ سواء أكانت للترتيب الزماني أو الرتبي في رد خلق آدم الفجائي الذي تؤيده مجموع آيات قرآنيّة كثيرة أخرى تغافل عنها الكاتب؟ ثم الحديث في الآية ﴿جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ عن نسل آدم بعد أن كان حديثاً عن آدم، كما في قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾﴾ [السجدة:٧-٨]، فآدم لم يصر نطفة بل خلقه الله خلقاً مستقلاً، بدأه من طين، ثم نفخ فيه من روحه. أو هو حديث من أوله عن نسل آدم؛ إذ خلقهم مما استل من الطين، وهو الغذاء الذي أصله من الأرض، ثم صار منيّاً[١].

وأما مستمسكه من الآيات الكريمات، في لزوم تفسير التنزيل الحكيم بما توصل إليه العلم، حيث افتقر التنزيل إلى جواب في تفسير بدأ الخلق، وأحال ذلك إلى علم الإنسان، فهو لي قبيح لأعناق الآي وقطع عن سياقها؛ فقد جاءت في سياق إثبات البعث، والرد على منكريه بإثبات علمهم النشأة الأولى ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ فلا يستبعدون النشأة الآخرة، وهي الأهون، وهي نشأة يعلمون عنها بما علمهم الله في كتابه المسطور، عن خلق أبيهم آدم، وخلق نسله في مراحل تكوين الجنين الذي حبا العلم طويلاً حتى اكتشف شيئاً عن تلك المراحل، ويرونه عياناً حولهم في أنفسهم، وخلق من سواهم والآفاق، وقد أشير إلى هذا العلم فيما قبل آية العنكبوت نفسها، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [العنكبوت:١٩-٢٠]، ثم يدعوهم إلى السير في أقطار الأرض، وتتبع

---

١) ينظر مثلاً: تفسير الزمخشري ١٧٢/٣، تفسير الرازي ٢٦٤/٢٣ -٢٦٥، تفسير القرطبي ٣٠٩/١٢، تفسير النسفي ٤٦١/٢.

آيات صنع الله في الخلق والإنشاء في كل الخلق، علّهم غفلوا عنها لإلفهم إياها في ديارهم؛ ليدركوا أن من يقدر على الأولى لا تعجزه الآخرة.

وأما فِريته أنه لا جواب في التنزيل الحكيم عن نشأة الخلق، وأن الله لم يسد فجوات هذا النشأ، وهو حي لم يضع نفسه بشكل معجز في مواجهة البحث العلمي؛ ليكون عقبة في طريق ارتقاء الإنسان -تعالى الله عما يقول علواً كبيراً-، فإما أن يقصد أن التنزيل الحكيم ليس من عند الله، لأنه محال أن يكون كتاب الله الخاتم، وينقصه الجواب عن مبدأ الخلق، أو أنه من عند الله لكنه إله عاجز مفتقر إلى العلم، وليس ذلك فحسب بل يسلم لغيره بتمام العلم ولا يقف عقبة في سبيل ذلك، والاحتمالان يقدحان في حقائق العقيدة، وأن هذا القرآن من عند الله عالم الغيب والشهادة، وهو على كل شيء قدير، ويقدح أيضاً في عقيدة المؤلف نسأل الله السّلامة، وفي ضبط حدود العقل البشري، وعبثية قياس باطل عمل الخالق إلى مدركات الإنسان، ولعل هذا الفهم هو الذي دعا بعض ساسة الغرب أن يوقفوا تجارب الاستنساخ لأنها ضرب من العبث والسفاهة، و قد تأسف الكاتب لذلك.

ويخلص المؤلف في نهاية الفصل، إلى نشوء الحياة، وتطور البشر؛ بارتقاء مجموعة منهم إلى كائن عاقل واع، ومؤهل لتكوين مجتمع ذي حضارة.

قلت: وهي خلاصة لم يحسن المؤلف تقديم أي دليل عليها كما تبين سابقاً.

المطلب الثاني: اصطفاء آدم

أولاً: معنى الاصطفاء، والاستدلال بآيات الاصطفاء.

وقد افتتحه المؤلف بذكر دليل على أن آدم أبو الإنسان، حيث اصطفاه الله من مجموعة بشر من نوعه، تماماً كما اصطفى نوحاً وآل إبراهيم في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ﴾ [آل عمران:٣٣]، وأن معنى الاصطفاء -وهو الاختيار والتفضيل- مؤيد لوجود هذه المجموعة البشرية، فالاختيار لا يكون إلا بين اثنين فأكثر، والتفضيل لا يكون إلا على آخر فأكثر، وكذلك توصل إلى النتيجة نفسها بدلالة تكرار (أنت) في قوله تعالى: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [البقرة:٣٥]، أنه يفيد الاختصاص لا مجرد التأكيد، وهذا التخصيص يقتضي وجود مجموعة مخاطبة، يخص واحد منها بالخطاب.

وأما معنى الاصطفاء فهو من صفو: " وهو أصل واحد، يدل على خلوص من كل شوب"(١) قاله ابن فارس، وبه يفهم الاصطفاء، وهو: الاختيار بأن يكون المختار صافياً عن الشوب الموجود في غيره، مفضل عما سواه(٢)، وأما الاصطفاء في الآية، فنفهمه جملة في سلك واحد ينتظمه العطف؛ فيكون الاصطفاء لهؤلاء المذكورين معاً، أن "اختارهم وجعلهم صفوة العالمين، وخيارهم بجعل النبوة والرسالة فيهم؛ فآدم أوّل البشر ارتقاء إلى هذه المرتبة"(٣)، ولا يسعنا الفهم هنا أن اصطفاء آدم كان من المملكة الحيوانية، إذ كيف عطف نوح وآل إبراهيم وآل عمران على آدم، أكانوا هم أيضاً من تلك المملكة

١) معجم مقاييس اللغة ٣/٣٩٢.

٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني ص ٤٨٨، تاج العروس ٣٨/٤٢٧.

٣) تفسير المنار، محمّد رشيد رضا، ٣/٢٣٧.

الحيوانية المسماة بالبشر؟! فإن لم يصدق عليهم، فلا يصدق على من عطفوا عليه من باب أولى، وعليه فلا تصلح الآية على فكرة افترضها المؤلف من خارج السياق القرآني، ولا يعين عليها نظم الآية[1].

وقد يلحق بالمعنى العام، وهو: اصطفاء النبوة، معنى تفصيلي في متعلق الاصطفاء في كل نبي؛ فيكون في حق آدم عليه السّلام أن "اختاره على سائر المخلوقات، فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، وأسكنه جنته، وأعطاه من العلم والحلم والفضل ما فاق به سائر المخلوقات، ولهذا فضل بنيه، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [الإسراء:٧٠]"[2].

وليس هو تفضيل آدم على مجموعات البشر الأخرى، الإنسان العاقل الواعي، وبشر (النياندرتال)، الذي وقعت بينهما حروب طاحنة أدت إلى فناء (النياندرتال) كما يردد المؤلف، وفق خياله العلمي[3].

وأما بروز الضمير (أنت) في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الأعراف:١٩] تأكيداً للمستتر وجوباً فلتسويغ العطف عليه صناعة عند العرب فلا يعطف الاسم الظاهر على المستتر[4]، وأما معناه فلم يقل أحد من علماء اللغة أنه للتخصيص، وكيف يصلح أن يكون للتخصيص، وقد أتبع بالعطف، ومعنى التخصيص: إثبات الحدث للمخصص ونفيه عما سواه، بل معنى (أنت): بيان أن المخاطب هو الأصل في الخطاب، والمعطوف تبع له، وأنه لولاه لما كانوا مأمورين بذلك[5]، ولا يلزم أن يكون هذا المخاطب وفق مجموعة بل المخاطبون اثنان لم يخاطبهما ب(اسكنا) لتحقيق المعنى السابق.

ثم بين المؤلف أن معنى الاصطفاء له محل يتجلى فيه، فالاصطفاء في الآية السابقة في حق نوح وآل إبراهيم اصطفاء نبوة ورسالة، واصطفاء موسى في قوله تعالى: "﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٤﴾ [الأعراف:١٤٤]، اصطفاء بالنبوة والرسالة والتكليم، واصطفاء مريم في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٢﴾ [آل عمران:٤٢] تطهيرها وتأهيلها لكلمة الله ولنفخة الروح وأن تكون والدة لعيسى عليه السّلام وليس اصطفاء نبوة ورسالة، وكذلك الاصطفاء في حق آدم، كان في جعله محلاً لنفخة الروح بعد التسوية لا النبوة، قال: "آدم سواء أكان والداً للبشر حسب الزعم السائد أم أباً للإنسان العاقل حسب ما نراه نحن لا يمكن أن يكون نبياً ولا رسولاً، وإلا تعارض ذلك عمودياً مع قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٣][6]"، ويعني بذلك أن بعث النبين كان بعد كون الناس أمة، وباعتبار أن هؤلاء الناس من نسل آدم، وهو أولهم فلم يكن نبياً. والحق أن هذه الآية من الأدلة على نبوة آدم عليه السّلام وليس العكس فلفظ ﴿أُمَّةً﴾ من المشترك اللفظي، ومن معانيها: الدين، فالمعنى كان الناس على دين

١) ينظر: بحث الإشكالية المنهجية، ماهر المنجد ٥٧٢.

٢) تفسير السعدي ص ١٢٨– ١٢٩.

٣) ينظر: القصص القرآني ٢٧٦/١.

٤) ينظر: تفسير القرطبي ٣٠٠/١، تفسير أبو حيان ٢٥٢/١.

٥) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني١ /١٥٢، تفسير البيضاوي ٧٢/١.

٦) القصص القرآني ٢٧٢/١.

واحد، وملة واحدة[1]، وهو الدين الذي عرضه عليهم آدم فأقروا بالعبودية والإسلام ثم اختلفوا[2]، فبعث الله النبيين ليعيدوهم إلى الجادة، ويقضون بينهم فيما اختلفوا فيه، وقد قدر الاختلاف الناشئ بعد اتحاد الدين قبل ﴿فَبَعَثَ﴾ بدلالة ما ذكر بعد ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾) ولقوله أيضاً : ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [يونس:١٩][3].

ومن الأدلة على نبوة آدم عليه السّلام أيضاً:

أولاً: آية الاصطفاء ذاتها التي افتتح بها الباب، وإقراره أن الاصطفاء للمذكورين فيها للنبوة والرسالة، وإخراج آدم منها تحكم بلا دليل، فكيف لا يقال إن آدم نبي، وهو مندرج معهم بل في مقدمتهم؟

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝١٢٢ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا﴾ [طه:١٢٢-١٢٣]، فالاجتباء هو الاصطفاء للنبوة، قال الرازي: "الرسالة والاجتباء متلازمان؛ لأن الاجتباء لا معنى له إلا التخصيص بأنواع التشريفات، وكل من جعله الله رسولا فقد خصه بذلك لقوله تعالى: {ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ} [الأنعام:١٢٤]"[4].

ثالثاً: ما روي عن أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ قُلْتُ: أَيُّ الْأَنْبِيَاءِ أَوَّلُ؟ قَالَ: (آدَمُ)، قَالَ: قُلْتُ: وَهَلْ كَانَ نَبِيًّا، قَالَ: (نَعَمْ نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ)[5].

رابعاً: كلام الله سبحانه وتعالى له دلالة على نبوته، وقد تكلم معه غير مرة بلا واسطة فأمره ونهاه[6].

خامساً: تعليمه الأسماء كلها وحياً دون الملائكة، وبذلك ثبتت نبوته وبان فضله[7].

سادساً: إنبائه تشريعات لابد منها لعمارة الأرض واستقرار الحياة فيها كشريعة الزواج، والنهي عن القتل وسفك الدماء، وقد ظهر مثل ذلك في قصّة ولديّ آدم، قال تعالى: ﴿۞وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٨ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩﴾ [المائدة:٢٧-٢٩]، وذلك دال على أن آدم بلغ لأبنائه شرعاً تلقفه من الله[8].

وبذلك ترد شبهة إنكار نبوته عليه السّلام، وجدير بالذكر أن الكاتب لم يعترف بتلك النبوة فحسب، بل أنكر أن يكون آدم وذريته على الإسلام والتوحيد، حيث جعل مبدأهما من نوح عليه السّلام، حيث قال في كتابه الإيمان والإسلام

١) ينظر: تفسير الطبري ٢٧٨/٤.

٢) ينظر: تفسير الماوردي ٢٧١/١.

٣) ينظر: تفسير الزمخشري ٢٥٥/١.

٤) تفسير الرازي ٣٩٩/٢.

٥) ينظر: أحمد، المسند ٤٣٢/٣٥ ح ٢١٤٥٦، وصححه الألباني في تخريج أحاديث مشكاة المصابيح ٣/ ٢٤٦ وتصحيحه بالمتابعات والشواهد كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦/ ٣٦٠.

٦) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٤٦/٧.

٧) ينظر: تفسير القرطبي ١٢٢/٢٠.

٨) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور٣٤٦/٧، إنكار نبوة آدم عليه السّلام، موقع بيان الإسلام في الرد حول الشبهات حول الإسلام http://www.bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=01-04-(0005&value=&type=

-بعد حديثه عن تطور الأديان وبدايتها بالوثنية الطبيعية وتصحيح مسارها من نذر من الملائكة إلى ظهور نوح، ثم الوثنية المجسدة وتتابع الرسالات-: "وهكذا نرى أن الإسلام بدأ بنوح بالتوحيد، وبقي التوحيد مدار دعوات الأنبياء والرسل حتى خاتمهم محمّد صلّى الله عليه وسلّم"(١).

قال صاحب بؤس التلفيق: "وعليه فإن آدم لم يكن موحداً، وهذا يناقض صريح القرآن، وهو الذي دعا ربه، واستغفره، واجتباه ربه، وكان هو وزوجه على التوحيد، فشحرور يقلب الأمر تماماً، ويجعل الشرك أصيلاً بخلاف التوحيد فإنه متأخر..."(٢).

ثانياً: الجعل والخلق وآياتهما.

وفيه يعرض الكاتب إلى زاوية أخرى في تقرير اصطفاء آدم من المجموعة البشرية، بعد بيانه أن السبب في ضياع المضمون الإنساني لاصطفاء آدم، والقول بالخلق الفجائي لآدم وأنه أول البشر هو ليّ المفسرين أعناق الآيات، والخلط بين دلالات المفاهيم، وعدم اعتبار السياق لضبط تلك الدلالات كل ذلك لمصلحة مرويات أهل الكتاب، ولنصرة الأساطير. وقد سبق الردّ على تلك الصورة المتوهمة التي تجعل المرويات أُسّاً للتفسير، ولكن الجديد هنا هو دراسة المؤلف لبعض المفردات التي يظن بها الترادف، وأثر ذلك في فهم معنى الاصطفاء.

حيث رأى المؤلف في كتابه الأول: "أن الخلق هو التقدير قبل التنفيذ، لذا فعندما قال للملائكة: {إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا} [الحجر:٢٨] فهذا يعني أن البشر لم يظهر بعد لذا اتبعها بقوله: {فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ} [الحجر:٢٩]"(٣)، وذكر في كتاب القصص التعريف ذاته لكن دون قيد قبل التنفيذ، حيث قال: "أن الخلق هو التصميم والتقدير"(٤).

في حين عرف الجعل في كتابه الأول بأنه "عملية التغير في الصيرورة كقوله لإبراهيم: {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ} [البقرة:١٢٤]، إذ لم يكن إبراهيم إماماً للناس، فأصبح إماماً"(٥)، وأضاف قيد الحركة في كتابه القصص، فعرف الجعل أنه "تغير في صيرورة الحركة"(٦).

وأما في ضبط هذه المفاهيم، وأثرها على إثبات نظريته، رأى المؤلف أن في استخدام اسم الفاعل في الخلق في قوله تعالى: {إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا} [الحجر:٢٨]، والجعل في قوله: {إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ} [البقرة:٣٠] دلالة على استمرار العملية.

وأن الاختلاف في استعمال الخلق والجعل، هو: إيراد الأول في مراحل الخلق، في حين استخدم الثاني للدلالة على تغير في الصيرورة لبشر موجود مادياً تمت تسويته، وأصبح جاهزاً لنفخة الروح، مستو قادراً على التنغيم ليصبح خليفة بعد

---

١) الإسلام والإيمان ص ٣٥٣.

٢) يوسف سمرين ص ٨٦.

٣) الكتاب والقرآن ص ٢٨١.

٤) القصص القرآني ١/ ٢٧٤.

٥) الكتاب والقرآن ص ٢٨٧.

٦) القصص القرآني ١/ ٢٧٤.

أن لم يكن خليفة؛ لذا ذكر احتجاج الملائكة بعد الجعل، ولم يذكره بعد الخلق لأنه لم يكن جاهزاً[1]، وعبر بجاعل لا خالق في الأرض خليفة؛ لتغير في صيرورة حركة البشر بتدخل إلهي، وذلك بنفخة الروح فأصبح إنساناً.

وأن مفردة الاستخلاف مرتبطة بالجعل في القرآن، وأن صنع الله هو نتاج الخلق والتسوية والاصطفاء الذي هو مكمن الجعل، الذي يصبح معلوماً بالتطور العلمي، أما جعل الإنسان؛ فيكون عبر تدخله بعلمه ومعارفه في المادة المطواعة لتحويلها[2].

وعند مراجعة أصل المادتين في اللغة: نجد أن معاني الخلق هي: التقدير والإيجاد، وليس التقدير فحسب، جاء في تهذيب اللغة: "ومن صفات الله تعالى الخالق والخلاق ...، وهو الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة، وأصل الخلق التقدير، فهو باعتبار ما منه وجودها مقدر، وباعتبار الإيجاد على وفق التقدير خالق. والخلق في كلام العرب: ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه، قال أبو بكر بن الأنباري: الخلق في كلام العرب على وجهين: أحدهما الإنشاء على مثال أبدعه، والآخر التقدير... والعرب تقول: خلقت الأديم إذا قدرته وقسته، لتقطع منه مزادة أو قربة أو خفاً"[3].

وجاء في مفردات الراغب: "الخلق أصله: التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، قال: {خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ...} [الأنعام:١]، أي: أبدعهما، بدلالة قوله: {بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾} [البقرة:١١٧]، ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء نحو: {خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ} [النساء:١]، {خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ} [النحل:٤]، {خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ} [المؤمنون:١٢]، {وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ} [الأعراف:١١]، {وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾} [الرحمن:١٥]، وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا لله تعالى"[4].

فالتقدير، هو: التصميم والتصوير والتسوية، وهو ما يفسر به الخلق في حق الناس، ومن هنا قالت العرب لصانع النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس: خلقها[5]. أما في حق الله فلا نستطيع أبداً أن نقول أنه تقدير فحسب، بل هو إيجاد فعلي وفق تقدير مستقيم منضبط[6]، قال الزمخشري: "والخلق: إيجاد الشيء على تقدير واستواء"[7]، وهو على ضربين كما قال الراغب آنفاً، هما :إيجاد على نحو مخصوص من غير أصل؛ كخلق السموات والأرض، أو إيجاد شيء على نحو مخصوص من شيء آخر؛ كخلق الإنسان من طين، ومن هنا نفهم لم اختار المؤلف التقدير على الإيجاد، وكيف سوى بين الخالق العظيم ذي الإرادة الكونية النافذة بالمخلوق، قال الرازي: "ثبت أن العبد لا يكون خالقاً بمعنى التكوين والإبداع؛ فوجب

---

١) ينظر: الكتاب والقرآن ص ٢٨٧.

٢) ينظر: القصص القرآني ٢٧٥/١.

٣) الأزهري ١٦/٧، وينظر: لسان العرب، ابن منظور ٨٥/١٠، تاج العروس، الزبيدي ٢٥١/٢٥.

٤) المفردات في غريب القرآن ص ٦٩.

٥) ينظر: تفسير الزمخشري ٩١/١، تفسير البيضاوي ٥٤/١.

٦) ينظر: مقال الخلق والتسوية مجلة النبأ، غالب حسن الشابندر https://annabaa.org/nba59/tasuia.htm.

٧) تفسير الزمخشري ٩١/١.

تفسير كونه خالقا بالتقدير والتسوية"[١]، وذلك لأن القول بتكوين وإبداع الخلق؛ سيهدم نظريته الحميمة التي لا تفهم الخلق المستقل الفجائي للإنسان.

وأما مادة جعل فلها معان متعددة، قال الراغب: "جعل: لفظ عام في الأفعال كلها، وهو أعم من فعل وصنع وسائر أخواتها"[٢]... ثم ذكر لها وجوها خمسة، وهي: بمعنى صار وطفق، وبمعنى أوجد وخلق وأحدث، وفي إيجاد شيء من شيء، وفي تصيير الشيء على حالة دون حالة، والحكم بالشيء على الشيء[٣].

وجاء في لسان العرب: "وجعله يجعله جعلاً: صنعه، وجعله صيره... وجعل الطين خزفاً والقبيح حسناً: صيره إياه ...وجعل: عمل وهيأ. وجعل: خلق. وجعل"[٤].

وقد اختلف في معنى الجعل في الآية: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة:٣٠] بين الخلق والتصيير، والأكثرون[٥] على الثاني فالجعل في الآية هي تغيير وتصيير وتحويل هذا المخلوق من حالة إلى أخرى بتأهيله للخلافة.

وهذا ما تبناه المؤلف إلا أنه أضاف قيد الحركة، وأن الجعل تغيير في صيرورة حركة البشر بتدخل إلهي بنفخة الروح، وهو تحكم بلا دليل في تقدير مكمن الجعل، وتصويره حركة متمثلة في نفخ الروح، ثم ادعى استمرار هذه العملية زمناً طويلاً استنادا على استخدام اسم الفاعل.

وقد أخطأ المؤلف في المقدمة والنتيجة، فاسم الفاعل هنا للاستقبال وللثبوت وليس للتجدد، مما يدلل على أن عملية جعل الله في الأرض خليفة سارت وفق قدرة الله وعظمته كالخلق ولم تمتد زماناً، قال عالمنا أبو حيان، وكأني به يرد على المؤلف وأضرابه: "وجعل الخبر اسم فاعل، لأنه يدل على الثبوت دون التجدد شيئاً شيئاً، والجعل: سواء كان بمعنى الخلق أو التصيير، وكان آدم هو الخليفة على أحسن الفهوم، لم يكن إلا مرة واحدة، فلا تكرر فيه، إذ لم يخلقه أو لم يصيره خليفة إلا مرة واحدة"[٦].

ثم كيف نفهم أن مكمن الجعل هو خلق متطور من كائن شبيه بالقرد، ثم انتصاب أقدام وتحرير يدين، ثم اصطفاء من تلك المجموعة البشرية البهيمية لتنفخ فيها الروح، وتتحقق الخلافة في الأرض لآدم، وهو بداية تاريخ الإنسان الواعي في حق الإنسان بحسب زعم الكاتب في شأن داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ص:٢٦] وقد ضرب المؤلف في هذا المقام دليلا آخرا على أن الإنسان من ذرية قوم آخرين وهم بشر، وقال أنها آية

---

١) تفسير الرازي ٢٢٧/٨.

٢) المفردات في غريب القرآن ص ١٩٦.

٣) ينظر: المفردات للراغب ص ١٩٧، عمدة الحفاظ، السمين الحلبي ٢٣٨/١.

٤) ابن منظور ١١٠/١١-١١١ مادة جعل.

٥) ينظر: مثلا تفسير الطبري ٤٤٨/١، تفسير الزمخشري ١٢٤/١، تفسير الرازي ٣٨٨/٢، تفسير النسفي ١٧٧/١، تفسير أبو السعود ٨١/١.

٦) تفسير أبو حيان ٢٢٦/١.

"تفقأ العين بأننا أنشئنا من بشر آخرين"(١)، وهي قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأنعام:١٣٣]

قلت: وستظل هذه الآية وأخواتها مما سبق، وما هو آت، تفقأ عين الباطل والإلحاد في آيات الله؛ فالآية مثل لبيان سنة من سنن الله، بألفاظ مضمنة الوعيد في استبدال العصاة، واستخلاف غيرهم، فكما أهلك من كان قبلكم من آبائكم الأولين قرناً بعد قرن، واستبقى صلحاءهم الذين أنتم من ذريتهم، سيذهبكم أيها العصاة ويستخلف من بعدكم طائعين من ذريتكم الصالحين(٢).

ولا يفهم إلا أنهم من أولاد أو خلف قوم متقدمين أصلهم آدم عليه السّلام(٣) إذ هو أبو البشر، ولم تبدأ الرسالات وعذاب الاستئصال للعصاة إلا بعده. وكان الأجدى بالمؤلف أن يصل لهذا، فأي تكليف وأيّ عذاب يفهم لمن قبل آدم –حسب زعمه– وهم في نظره إما من البشر البهيمين، أو مكتشفي النار أو دافني للموتى على أحسن تقدير(٤)، هذا إذا افترضنا أن قراءته المعاصرة تراعي السياق كما يقول، أما أن يقتطع الجملة القرآنيّة ﴿أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة الأنعام:١٣٣]: عن سياقها وخطابها، أي أننا من جنس آخر، وهم بشر حيوانيين قبل آدم، لا بشر من ذريته، تخرّص مستبعد من دائرة الترجيح ابتداءً.

وأنقل هنا عبارة لشيخ المفسرين، ترد على من يسلب هذه الجملة القرآنيّة مكانها في بيان مثل الاستبدال والاستخلاف، قال: "كما أحدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم. ومعنى (مِن) في هذا الموضع: التعقيب، ... لم يرد بإخبارهم هذا الخبر أنهم أنشئوا من أصلاب قوم آخرين، ولكن معنى ذلك ما ذكرنا؛ من أنهم أنشئوا مكان خلق خلف قوم آخرين، قد هلكوا قبلهم"(٥).

ثالثاً: معنى (آدم).

عدّ المؤلف دلالة هذه المفردة دليلاً على أن آدم مرحلة وسيطة، بين حدين: بدأت مع الهبوط الأول، وانتهت مع الهبوط الثاني(٦)، فمن البشر المستوحش إلى الإنسان العاقل؛ مرحلة آدم الذي منه الإنسان الحالي.

---

١) القصص القرآني ٢٧٦/١.

٢) ينظر: البسيط، الواحدي ٤٤٩/٨، تفسير البغوي ١٦١/٢، تفسير البيضاوي ١٨٣/٢، تفسير أبو حيان ٦٥٢/٤، تفسير القاسمي ٢٩٧/٤، تفسير المنار ١٠١/٨.

٣) ينظر: تفسير ابن عطية٣٤٧/٢، تفسير أبو حيان ٦٥٢/٤.

٤) ينظر: القصص القرآني ١٢/٢.

٥) تفسير الطبري ١٢٦/١٢ –١٢٧.

٦) وهو يشير بذلك إلى الآيات: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [البقرة:٣٦-٣٨]، وسيأتي بيان الهبوطين عند المؤلف، ورد ذلك لاحقاً بإذن الله.

وبعد أن قدم إحصاء لورود المفردات بشر وإنسان وتصاريفها في القرآن، وبعد ادعاء على المفسرين –كعادته– أنهم لم يهتموا كثيراً، بل مطلقاً في التفريق بين هذه الدلالات[1]، لأن مشاهيرهم مؤرخون أهل أخبار، ولأنهم جميعاً يقولون بالترادف، شرع في بيان معان لفظ آدم نقلاً عن المعاجم أنه من الأدمة، باطن الجلد الذي يلي اللحم، والبشرة باطنه، وأن الأدمة: القرابة والوسيلة إلى الشيء، يقال فلان أدمتي إليك: أي وسيلتي. وأدم: لأم وأصلح وألف ووفق؛ كما جاء في الحديث النبوي (حتى يؤدم بينكما) أي أن تكون بينهما المحبة والاتفاق، أو من أدم الطعام أي: طاب وصلح بالإدام.

ثم رأى أن هذه المعاني تحقق مفهوم آدم المرحلة الوسطى، والتوفيق بين نهاية مرحلة همجية وبداية مرحلة إنسانية، وكلها تشير إلى التكيف والتلاؤم مع المحيط الخارجي[2].

ونحن نتابع المؤلف فيما نقله من معان لكن لا نتابعه على بنائه عليها في ملامح تسمية آدم بما يلتئم مع نظرية التطور، فمن معاني آدم: التوفيق والتآلف والإصلاح، لكن ليس التوفيق بين مرحلتي الهمجية والأنسنة، ثم أين التكيف مع الوسط الخارجي من هذه المعاني، وأيها قد دلت عليه؟

نعم قد نقرأ بعضاً من ملامح شخصية آدم في اسمه، لكن دون أن نخرج بالمعنى عن أصوله واستعمالاته لمقررات مسبقة كما هو دأب المؤلف، وقد تكلم أئمتنا في تسمية آدم بما يعين عليه اللفظ فقيل: "سمي آدم –عليه السّلام– لأنه خلق من أدمة الأرض"،"وأدمة الأرض: وجهها"[3].

أو "أن يكون من: أدمت بين الشيئين: إذا خلطت بينهما. فسمي آدم لأنه كان ماء وطيناً خلطاً جميعاً"[4]، ويقال أيضاً: فلان أدمة أهله، أي إِسْوَتُهُمْ وبه يعرفون[5]".

و "أدمة قومه: سيدهم ومقدمهم "[6]، وكلها معان بادية في آدم عليه السّلام كما لا يخفى، فهو سيدنا ومقدمنا وبه نعرف، وقيل أيضاً: "سمي بذلك لما طيب به من الروح المنفوخ فيه المذكور في قوله تعالى: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى} [الحجر:٢٩]... وذلك من قولهم: الإدام، وهو ما يطيب به الطعام[7].

ثم نعود إلى المؤلف، الذي أضاف ملمحاً جديداً حول آدم، فبعد أن خلع عنه صفوة النبوة، بل التوحيد، نراه يقرر هنا أنه ليس شخصاً ذكراً، بل مجموعة بشرية تشمل الذكر والأنثى لأن أصل الآدميين بشر، وأنه بحكم الخلق التكويني للبشر لا يمكن أن يتكاثروا كباقي أنواع المملكة الحيوانية إلا من ذكر أو أنثى، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات:١٣]، والناس جمع إنسان، والآية تتحدث عن الخلق الأول.

١) سبق التفريق في المطلب الأول بين البشر والإنسان بناء على أقوال اللغويين، وتطبيقات المفسرين مما يرد دعواه.

٢) ينظر: القصص القرآني ١/٢٧٧-٢٧٩.

٣) العين، الخليل بن أحمد ٨/٨٨، وينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ١/٧٢.

٤) الزاهر في معاني كلمات الناس، ابن الأنباري ١/٣٨٤.

٥) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري ٥/٢٨٥٩، مجمل اللغة، ابن فارس ص ٩٠، لسان العرب، ابن منظور ١٢/٨.

٦) أساس البلاغة، الزمخشري ١/٢٣.

٧) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ص ٧٠.

وأعجب من المؤلف كيف يعاند الحق في أن خلق آدم خلق عجيب يخالف البشر جميعا خلق من غير أب ومن غير أم، ومثله عيسى الذي خلقه من غير أب، وكلاهما بكلمة من الله، ألم يقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾ [آل عمران:٥٩]، لم يطلعنا المؤلف على تأويله لظاهر هذه الآية، ثم إن هذه الآية تقضي بخروج آدم وعيسى عليهما السّلام من قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات:١٣]، وهذه الآية لا تتحدث عن الخلق الأول خلق آدم، بل عن خلق البشر من نسله، من ذكر وأنثى، هما: آدم وحواء.

وكذلك رأى المؤلف أن زوج آدم الذي أشير إليه في قوله تعالى: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [الأعراف:١٩]، وأهبط من الجنة، وبدأ معه مرحلة الأنسنة بمنجزاتها ليس أنثى وهي حواء، فكلمة الزوج ليست مقتصرة على الأنثى، فقد أتت بمعنى الذكر في قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾ [البقرة:٢٣٠]، وقوله: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ [المجادلة:١]، ومن هنا فزوج هي مجموعة بشرية تدعى (النياندرتال) تعلمت من مجموعة آدم الإنسان العاقل، ثم فنيت بعد حروب طاحنة بينهما.

وهذه صورة سافرة لما وصل إليه المؤلف من تنازل لمصلحة نظرية علمية هجرها مريدوها، وهي خطوة جريئة لا تقبل الانفراد، بل تتبعها خطوات في طريق هذا التنازل عن كل الحقائق؛ بل العقائد التي نزل بها القرآن، بعد تفريغ ظواهرها اللغوية والعبث بها، فمن لا يعتقد بآدم وحواء سيمضي نحو إنكار الجنة أو النار، وكلها معتقدات نزل بها القرآن[1]، فآدم هو آدم أول البشر خلقه الله بيديه، ونفخه به من روحه، النبي، الموحى إليه، المكلم في آيات عدة، و(أنت) ضمير مفرد مذكر دال عليه، ولم تعرف قواعد اللغة دلالته على الجمع، وزوجه بدلالة ذلك أنثى، كما أن الزوج في الآيات التي استدل بها المؤلف هو ذكر بدلالة المطلقة والمشتكية لأنها أنثى، وزوج آدم هي أمّنا حواء، وهنا أيضاً يبرز تناقض وتخبط المؤلف في معنى (أنت) بين الإفراد والجمع، فنقلنا عنه أن دلالة ضمير المخاطب المفرد المذكر المنفصل على تخصيص المفرد دون جماعته[2]، ليس ببعيد.

رابعاً: النفس والروح.

ابتدأ المؤلف دراسته في التفريق بين النفس والروح برفضه تعريف المفسرين للروح: بأنه سريان جسم لطيف أدى إلى بعث الحياة في جسم آدم، ومثل لذلك بنص أخطأ في نسبته للطبري، وهو للقرطبي، حيث قال في تفسيره: "والروح جسم لطيف، أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم. وحقيقته إضافة خلق إلى خالق، فالروح خلق من خلقه أضافه إلى نفسه تشريفاً وتكريماً، كقوله: "أرضي وسمائي وبيتي وناقة الله وشهر الله"[3].

ثم ثنى بنقل من التوراة ذكر أنه أصل الرواية، وفيه أن الله نفخ في أنف آدم نسمة حياة، فصار حيّاً، ثم أتبعه بثالث من كتب أصحاب المعاجم الذين تبعوا المفسرين في نظره في خلطهم بين الروح والنفس، فنقل عن لسان العرب أن الروح هي النفس.

---

١) ينظر: نقد التفكير الديني، جلال العظم ص ٣٢، بؤس التلفيق، يوسف سمرين ص ٨٤.

٢) ينظر: القصص القرآني ١/٢٧٢- ٢٧٣.

٣) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٤.

ثم استنتج ودون جهد كبير –بحسب قوله– بعد تتبعه استعمال الروح في القرآن باستثناء آيات خلق البشر:

– أنّ الروح لا علاقة لها ببعث الحياة في الجسد، بل ترتبط بعملية الوحي والتعليم الإلهي، ومن هنا فإن جبريل روح لأنّه يوصل المعلومات الإلهية للأنبياء، وهو ليس من الملائكة بل من مخلوقات الله بحسب قوله تعالى: {يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا} [النبأ:٣٨].

– أنّ الروح من أمر الله، ولا يعني قوله: {وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾} [الإسراء:٨٥] انتفاء علمنا بالروح، بل ما يتوصل إليه الإنسان حول هذه الروح قليل بالنسبة إلى علم الله.

– وعليه فإنّ الروح في قصّة خلق آدم ليست هي سر الحياة، بل سر الأنسنة التي تحول بها البشر المستوحش إلى إنسان اجتماعي، وأنّ نفخ الروح إحداث طفرة معرفية إدراكية مرافقة لتطور بيولوجي في الأعضاء المستجيبة للطفرة، وهي: الدماغ والبلعوم.

– أنّ المسؤول عن الموت والحياة هي النفس بدلالة قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر:٤٢]، فتوفي النفس يسبب الموت عندما يمسك بها الله، والأخرى يرسلها التي لم تمت في منامها، أي أنّ الوفاة كالموت كلاهما يتم به تجميد الزمن.

وبذلك تنتظم سلسلة دلالات المفاهيم؛ الروح والنفس والجعل والاصطفاء؛ في حالة تفضي إلى غاية الخلافة دون تأويلات متعسفة كما عند السلف.

وقبل أن أمضي في مناقشة المؤلف في استنتاجاته، أود التفريق بين مسألتين، بين طلبه الحق ببحثه عن ماهية الروح، والتفريق بينها وبين النفس تحت شعار نفي الترادف في التنزيل الحكيم، وإفادة القارئ بما فيه الجدة، وبين تلبيسه على الحق في تزييف أدواته ونتائجه، طمعاً في تثبيت أركان قراءته لقصّة آدم وفق نظرية التطور، فالمؤلف يريد أن ينفي بأي وسيلة مشهد بعث الحياة في جسد آدم الطيني، لأن ذلك لا يتناسب مع نظريته أن آدم هو مخلوقات حية استعدت للأنسنة بطفرة معرفية، مقترنة بتطور بيولوجي؛ لبعض أعضاء كائن كامل كالدماغ والبلعوم، للتفكير والتصويت، حتى لو كلفه ذلك أن ينزع عن الروح أي صلة بالحياة، ويقصرها في النفس التي لا ذكر لها في آيات الخلق، ولو ذكرت النفس لأفرغها من أي صلة بالحياة أو الموت هي أيضاً.

وأعود إلى ما قرره المؤلف:

هذه النقولات التي ذكرها المؤلف ليست هي كتب التفسير والمعاجم جميعها، فقد رأى القرطبي :أن الروح من قرائن الحياة، وهذا معنى قوله أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة في البدن بوجود الروح، وهو ما عبر عنه غيره: أن الحياة من آثار وجود الروح، ورأى غيرهما أن الروح لا تورث حياة فحسب بل تتعدى آثارها كما سنرى، وكما رأى بعض المفسرين وأصحاب المعاجم أن النفس هي الروح جهد بعضهم في التفريق بينها فرأوا التغاير بينهما أو أن الروح من أبعاض النفس، أو النفس من أبعاض الروح أو أن الروح إحدى معاني النفس وإطلاقاتها، وقلت جهد لأن ثمة عناء في التفريق بينها للجهل بماهية الروح التي هي من أمر الله، ولاتحاد السياق كما في مسألة الحياة والموت، وهي الآية التي استدل بها المؤلف عن صلة النفس بذلك: قال ابن عطية في تفسيرها: "وكثرت فرقة في هذه الآية وهذا المعنى. ففرقت بين النفس والروح، وفرق قوم أيضاً بين

نفس التمييز ونفس التخيل، إلى غير ذلك من الأقوال التي هي غلبة ظن. وحقيقة الأمر في هذا هي مما استأثر الله به وغيبه عن عباده في قوله: {قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي} [الإسراء:٨٥]، ويكفيك أن في هذه الآية يتوفى الأنفس، وفي الحديث الصحيح: (إن الله قبض أرواحنا حين شاء وردها علينا حين شاء) [١]، فقد نطقت الشريعة بقبض الروح والنفس في النوم وقد قال الله تعالى: {قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي} [الإسراء:٨٥]، فظاهر أن التفصيل والخوض في هذا كله عناء، وإن كان قد تعرض للقول في هذا ونحوه أئمة..."[٢]، وكذلك يصعب التفريق في سياق إطلاق كل منهما على الآخر كما أخرج البزار بسند صحيح عن أبي هريرة رفعه : (أن المؤمن ينزل به الموت، ويعاين ما يعاين، يود لو خرجت نفسه، والله تعالى يحب لقاءه، وأن المؤمن تصعد روحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين، فيستخبرونه عن معارفه من أهل الدنيا)[٣][٤].

وقد وقفت على دراسة لأحد الباحثين أحسن صاحبها في استقراء المعاني اللغوية، وتأمل الاستعمال القرآني للفظتين، وتصريفهما في وجوه مختلفة لكونهما من المشترك، وكذلك مراجعة أقوال العلماء ليخرج بنتائج تتصل بخصائص وآثار الروح جملة؛ لأن حقيقتها وسرها من أمر الله كما هو معلوم، أنتقي منها ما يؤهل للرد عل استنتاج المؤلف، وهي:

– أن النفس هي ما يتولد عن اتصال الروح بالجسد، فإذا دخلت الروح في الجسد تكونت النفس، التي تموت بخروج الروح من الجسد، فحين يموت الإنسان تخرج روحه، فالروح لا تموت، بل تدخل وتخرج، أما الذي يموت فهي النفس {كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ} [آل عمران:١٨٥]، وفي الحديث إن الروح إذا قبض تبعه البصر، فالروح تقبض أي تؤخذ فلا تموت.

–أن الروح هي سبب الحياة لا النفس، فدخول الروح هو الذي شكل النفس، وبه ثبت العقل وقامت الحجة.

– النفس ترتبط بالمفاهيم السلبية، ولها آفات كالحسد والكبر والهوى، بعكس الروح فهي سر عجيب مرتبط بالمعاني الراقية الشريفة والأنوار السامية والرحمة والكرم الإلهي[٥].

ويفهم مما سبق، أنّ النفس إن كانت تذوق الموت إلا أنها تتبع الروح في صلتها بالحياة، وقد جعل شحرور المعنى الجامع في أثر الروح هو الوحي والتعليم الإلهي، وتغافل عن أثر الحياة بعد دخول الروح الجسد خروجاً من مأزق الخلق الفجائي، وتفرد واستقلال خلق الإنسان التي تهدم نظريته، وقد توسع المفسرون فجمعوا في آثار الروح بين الحياة ومعان شريفة تتحقق للإنسان بنفخها في جسده تفضله عن الخلق، حيث جعلوها سبباً لاستجلاب المنافع واستدفاع المضار[٦]،

---

١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة: {وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ}، (٩/ ١٣٩)، رقم الحديث: ٧٤٧١

٢) المحرر الوجيز ٤/٥٣٣– ٥٣٤

٣) مسند البزار (البحر الزخار)، ١٧/ ١٥٤، ح٩٧٦٠. وصححه السيوطي كما في السلسلة الصحيحة ٦/ ١٢٧.

٤) تفسير الألوسي ٨/١٥٠.

٥) ينظر: مفهوم النفس والروح في ضوء آيات القرآن الكريم، نعيم دونر ٥٧– ٥٨.

٦) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ص ٣٩٥.

وبها يحصل العقل والفهم والروية، المفضل بها على غيره من الخلق[1]، فهي سبب للإدراك والتفكير[2]، أو "الجذوة التي تنتشر في أرجاء نفسه، فتشع منها جوانب الخير"[3] التي يتمكن معها من الخلافة في الأرض.

وفي ظل معاني الحياة والنفع العامة، لا الوحي والتعليم الإلهي، فهموا معاني الروح فيما عدا آيات الخلق؛ فسميت رحمة الله ولطفه ونصرته بالروح لأن بها حييت قلوبهم[4]، أو يحيا أمرهم[5]، وسمي القرآن روحاً لأنه به يحيون في دينهم الحياة الطيبة[6]، وهو سبب للحياة الأخروية الموصوفة في قوله: {وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ} [العنكبوت:٦٤][7]، وسمي جبريل الملك الشريف بالروح لأن الناس ينتفعون به في دينهم كانتفاعهم بالروح[8]، ولا أعلم ما مستند المؤلف باستطراده أن جبريل ليس من الملائكة ليخالف بذلك للكتاب، وما صح من السنة، ولعله قد فهم ذلك من العطف في قوله تعالى "{يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ...} [النبأ:٣٨] فظنه التغاير وهو من عطف العام على الخاص، وإن لم يكن جبريل من الملائكة فممن هو؟!

وكذلك يرد فهم المؤلف لقوله تعالى: {قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥} [الإسراء:٨٥] عدم انتفاء علم الإنسان بالروح، وأن ذلك العلم الممكن بالروح قليل أمام علم الله فيما سواها، وهذا المفاد مناف لظاهر الآية وسياقها، فما الفائدة في ذكر أن الروح من أمر الله إن أمكن للإنسان الوقوف على كنهها، بل المعنى أن الروح من أمر الله، وشأنه لا تدرك حقيقتها العلوية، ومن أين جاءت وكيفية انتزاعها، وأين تنتهي، فاجتهادات الإنسان حول آثار تلك الروح قليل في جنب علم الله حول الروح إذ هي من أمره، بل قليل في جنب علم الله المطلق. ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾ [آل عمران:٨].

وبهذا يختم الكاتب حديثه عن الاصطفاء ليتوقف القلم معه عند هذا الحد.

---

١) ينظر: عمدة الحفاظ، السمين الحلبي ٧٧/١.

٢) ينظر: تفسير ابن عاشور ١٩٦/١٥.

٣) قصص القرآن الكريم، فضل عباس ص ١٤٠.

٤) ينظر: تفسير الكشاف ٤٩٧/٤.

٥) ينظر: تفسير الرازي ٥٠٠/٢٩.

٦) ينظر: تفسير الكشاف ٢٣٤/٤.

٧) ينظر: مفردات الراغب ص ٣٦٩.

٨) ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري ١٠٣.

الخاتمة:

الحمد لله الذي أنزل كتابه متكفلاً بحفظه، عصيّاً على التحريف والتشويه ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ﴾ [الأنبياء:١٨]، والصلاة والسّلام على عبده وحبيبه وصفيه وخليله ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ ﴾ [النجم:٣-٤]، وعلى ساداتنا وكبرائنا صحابته وتابعيه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

ها أنا أقف على نهاية طريق شاق، أرفق بكل من سبقني به سيراً، وأشاطره انقطاع النفَس، و سَوء النفس لهول ما يطالعها من سطور طافحة بالهراء والمجازفة، يفشل معها كل ما ظُن في بداية الطريق ممكناً، من: تحقق التجلد والتعقل، وضبط العاطفة في الحكم على شحرور وقراءته المعاصرة، لأسجل النتائج الآتية:

- دلت القراءة المعاصرة بركنيها على الحرية الغوغائية المتسكعة؛ فعبر ب(القراءة) عن تحرر الفهم حتى عن النص نفسه وآلياته ولغته ومؤلفه، ونبذ الأصول والقواعد المنضبطة والثوابت المقررة في شروط التفسير، ومؤهلات المفسر التي ضبطها القدامى، ومضى عليها المعاصرون مع اختلاف في وسائلهم وأدواتهم، وعبر بـ(المعاصرة) عن تجدد القراءة تبعاً للعصر و التحرر عن الماضي ومصادرة آراء السابقين حتى لو كان النبي صلّى الله عليه وسلم، وصحابته ممن شهدوا التنزيل وعاصروا التأويل، وتابعيه ومن تبعهم بإحسان واقتفى منهجهم في التفسير، وتحكيم النظريات الفلسفية المادية، والمناهج الغربية، ومقررات العلم التجريبي على النص، بدلاً عنها .
- الأليق نسبة القراءة المعاصرة إلى الحداثة دلالة على دافع مطلقيها، ومنهجهم الباطل في استمداد آلياتها، ولمنع التباسها بما هو جائز بل مطلوب؛ من تفسير وتدبر القرآن بما جد من وسائل وأدوات مع الحفاظ على الثوابت.
- انتفاء التخصص في العلوم الشرعية والتأهل للتفسير، والتأثر بالفلسفات والنظريات الغربية العلمية المهترئة، والتسكع العقلي، واتباع الهوى، ودعم أعداء الدين، من أهم الأسباب التي دعت شحرور إلى إطلاق جملة من الرؤى والأطروحات –في العقائد والأحكام– المنتظمات الخروج، عن الثوابت، كثمرات لقراءة مخترعة، لآيات التنزيل الحكيم؛ ليّاً لأعناقها، وتفريغاً عن ظواهرها.
- المقابلات الصحفية، والظهور اللافت، عبر القنوات الفضائية، ووسائل التواصل الاجتماعي، من أهم عوامل بعث شحرور من جديد، وترويج أفكاره بين آلاف المتابعين الأغرار.
- رأى شحرور أن القصص القرآني هي مجموعة أحداث إنسانية، تم تسجيلها بعد وقوعها، كما تم تصنيفها وحفظها في إمام مبين، وهو الجزء المتغير من القرآن، حسب تقسيم مخترع له للمصحف، ممرراً بذلك لأركان قراءته المعاصرة، من حيث ثبات النص، وتحرك المحتوى، دعماً لقابلية التأويل المتعدد المتحرر من الثوابت.
- رأى شحرور أن الحائل من تحقيق دور القصص المنشود، وفق أسس علمية، ومعرفية تجديدية، مضموناً ومنهجاً، واستخلاص العبر والعظات، هي المنظومة المعرفية الموروثة، وقراءتها المعرفية والتاريخية للسلف؛ حيث يهدر مخزون القصص التراكمي معرفياً وقيمياً وموضوعياً.

- القصص في نظر شحرور موقوف على استخلاص العبر فلا ينتشئ أحكاماً، وهو بذلك لا ينكر أحد مصادر التشريع، وهو شرع من قبلنا فحسب، بل ينكر ما ورد من تشريعات من قصص النبي الكريم محمّد صلّى الله عليه وسلّم الواردة في القرآن، كأحكام السلم والحرب، وتقسيم الغنائم، ونحو ذلك.
- أنكر شحرور المعجزات الواردة في القصص؛ إذ يعدها سُنناً غاب إدراكنا عنها، وأنه لابد من مجيء تأويلها بقفزات معرفية.
- رتب شحرور مجموعة من القواعد المنهجية تحكم تناوله للقصص القرآني، مُدعياً غيابها عن أهل التفسير؛ كاكتشاف واستنباط العبر المتنوعة من أحداث القصص، وقضايا التراكم المعرفي والقيمي، وتصحيح المفاهيم التي تركب عليها عبر التاريخ الذي يعرضه أحداث القصّة، وربط المعجزة بطبيعة النسق الثقافي لمن جاءت إليهم؛ حتى تحقق الأثر المطلوب، والحق أن ما يقدمه صورة هزيلة، لما سُبق به من أهل التفسير وعلوم القرآن القدامى والمعاصرون؛ حيث جاؤوا به بصورة أكمل وأبهى، وأفصح في أغراض القصّة، وخصائص المعجزة.
- لا يعني شحرور بالنموذج السلفي علماء طائفة معينة، إنما يعني بهم عموم علماء المسلمين، بل الإسلام نفسه كما سيظهر في تشكيكه بمصادره المعتبرة، ويظهر أنه يعاني من فوبيا من ثراء هذا النموذج السلفي وتراثه، فلا يفوت سانحة لقود جموع المتنورين بزعمه إلى تلك التهم، وذلك الوهم.
- خلص شحرور أن مراحل تطور الإنسان ثلاثة وهي: البشر: وهو مخلوق ترابي طيني من عناصر الأرض ولم يكن منتصباً، والآدمي: وهو مخلوق ترابي مستو عاقل وواع بعد نفخ الروح، وإنساني: وهو مخلوق ترابي عاقل مكلف يملك لغة التفكير والاتصال، وعليه فآدم هو أبو الإنسان لا البشر، والتكريم والتعليم للإنسان وليس البشر، وأن الإنسان هو السلالة الوحيدة من المجموعات البشرية التي بقيت على الأرض، وأن آدم لفظ معبر عن مجموعة بشرية عاشت جنباً إلى جنب مع مجموعة أخرى فنيت لاحقاً.
- ادعى شحرور أن التنزيل الحكيم واضح في تقرير التطور مؤيد له، متبعا وسيلة الإلحاد اللفظي في تحريف الكلم عن مواضعه، في آيات الخلق والتسوية والتعديل؛ لغاية إثبات دعواه، وكذلك في تفريقه بين الإنسان والبشر، واستدلاله بآيات البشر، على الهمجية ونقص العقل، وانتشارهم قبل الأنسنة، في قراءة لنص لا وجود له.
- لم يأت شحرور بأدلة من التنزيل الحكيم على مسألة فناء آدم وبقاء آخر، وهذا يؤكد أنها من صور خياله العلمي.
- استدل الكاتب بتحكم ظاهر في آيتي الحج والمؤمنون على وجود حقبة زمنية طويلة بين مراحل الخلق، معرضاً عن جملة من الأدلة العقلية والشرعية بنفي ذلك؛ ليقرر نفي التنزيل الحكيم القول بالخلق الفجائي الخارج عن نواميس الوجود وصيرورة التطور.

- تبنى الكاتب بضعيف حجج ردت بالدليل أن اصطفاء آدم في قوله تعالى :﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ﴾، وبتكرار (أنت) في قوله تعالى :﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ اختياره وتفضيله على مجموعات البشر الأخرى، فهو بذلك أبو الإنسان وليس البشر .

- لم يعترف شحرور بنبوة آدم عليه السّلام، بل أنكر أن يكون آدم وذريته على الإسلام والتوحيد، حيث جعل مبدأهما من نوح عليه السّلام.

– رأى الكاتب ومن خلال قراءة مبتكرة لآيات الجعل والخلق تسجيل التنزيل الحكيم تغييراً في صيرورة حركة البشر بتدخل إلهي بنفخة الروح واستمرار هذه العملية زمناً طويلاً.

- عدّ المؤلف بدراسة إحصائية لدلالات المفردات (آدم) و(بشر) و(إنسان) أن آدم مرحلة وسيطة بين حدين، وتوفيقاً بين نهاية مرحلة همجية وبداية مرحلة إنسانية، وكلها تشير إلى التكيف والتلاؤم مع المحيط الخارجي.
- رأى شحرور أن آدم ليس شخصا ذكراً، بل مجموعة بشرية تشمل الذكر والأنثى لأن أصل الآدميين بشر، وأنه بحكم الخلق التكويني للبشر لا يمكن أن يتكاثروا كباقي أنواع المملكة الحيوانية إلا من ذكر أو أنثى؛ استدلالاً بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات:١٣].
- رأى المؤلف أن زوج آدم الذي أشير إليه في قوله تعالى :﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [الأعراف:١٩]، وأهبط من الجنة، وبدأ معه مرحلة الأنسنة بمنجزاتها ليس أنثى وهي حواء، فكلمة الزوج ليست مقتصرة على الأنثى ؛ إنما الزوج مجموعة بشرية تدعى النياندرتال تعلمت من مجموعة آدم الإنسان العاقل ثم فنيت بعد حروب طاحنة بينهما، وهذه صورة سافرة لما وصل إليه المؤلف من تنازل لمصلحة نظرية علمية هجرها مريدوها، وخطوة جريئة لا تقبل الانفراد بل يتبعها خطوات في طريق هذا التنازل عن كل الحقائق بل العقائد التي نزل بها القرآن، بعد تفريغ ظواهرها اللغوية والعبث بها، فمن لا يعتقد بآدم وحواء سيمضي نحو إنكار الجنة أو النار وكلها معتقدات نزل بها القرآن.
- استنتج شحرور وبتلبيس ظاهر خروجاً من مأزق الخلق الفجائي، وبعث الحياة بنفخ الروح في جسد آدم، وبعد تتبعه لاستعمال الروح والنفس في القرآن أن الروح لا علاقة لها ببعث الحياة في الجسد، بل ترتبط بعملية الوحي والتعليم الإلهي، وعليه فإن الروح في قصّة خلق آدم ليست هي سر الحياة، بل سر الأنسنة التي تحول بها البشر المستوحش إلى إنسان اجتماعي، وأن نفخ الروح إحداث طفرة معرفية إدراكية، مرافقة لتطور بيولوجي في الأعضاء المستجيبة للطفرة، وهي الدماغ والبلعوم .
- خرجت الدّراسة بجملة من أهم النقاط المنهجية والمنطلقات العامة يمكن استنباطها بعد النظر في قراءة شحرور لقصّة آدم عليه السّلام خلقه واصطفائه، منها :
  - جمع شحرور بين نظريات القراءة المعاصرة الهرمينوطيقية والعلو بالقارئ فوق المؤلف وتعدد التأويلات، وتاريخية النص القرآني بالإضافة إلى ما كان علماً عليه؛ وهي القراءة اللغوية التشطيرية[١] حيث هدر الدلالة المعجمية للفظة القرآنيّة، وإفراغها عن ظواهرها وقطعها عن السياق، والتلاعب بالمصطلح القرآني، والتسلل من الترادف ودعوى التدقيق إلى معنى لا علاقة له بالترادف من قريب أو بعيد، بل هو تمرير لأسس قراءته المعاصرة وتسويغ لمنظومته.
  - التمهيد إلى التخلي من الدين وتكاليفه، بما يقرر من تطور لا نهائي للآيات، وفك الارتباط بين الوحي ومراد صاحب الوحي، إذ لا حاجة إلى الإيمان بكتاب لا يعرف المراد منه، ويختلف معناه باختلاف العصر ليصبح التكليف به ضرباً من العبث.

١) وهو ما أطلقه قطب الريسوني على قراءة شحرور، ينظر: كتابه النص القرآني ص ٣٠١.

- الافتقار إلى دليل علمي منطقي، وإطار منهجي، يحاكم إليه في قراءته الجديدة المعاصرة، إذ هي منظومات معرفية ملفقة، يلبسها الصبغة المعرفية العلمية واللسانية، كإسقاط الدارونية في أصل الأنواع، والتوسل بالماركسية على المنهج اللساني، ودعوى تطور المعاني مع ثبات الصيغة، أو ثبات المنطوق وتغير المفهوم، كما يظهر في تقسيمه للقرآن، ومنه القصص القرآني.
- السمنة المفرطة، والتكرار في الأفكار، والتطويل الممل، والإسهاب فيما يمكن اختصاره.
- ندرة التوثيق، والخطأ في المنقول ونسبته، و ادعاء الارتباط ببعض الكتب المنتخبة من التراث، ككتب ابن جني وابن فارس؛ كصورة من التزويق والتلبيس، ثبت فيها بتر النصوص، وتوهم وجودها.
- التناقض الكبير في مسألة التطور والثبات؛ إذ يدعو غيره للتطور ويرفض المسلمات بحجة الثبات، ويختار لآرائه الثبات في جميع كتبه، إلا بتغير طفيف، نحو جرأة أكبر، وجدة في وسائل الإلحاد اللفظي.

التوصيات :-

- تناول شبهات القراءة المعاصرة بالرد العلمي الرصين فيما بقي من قصص الأنبياء.
- اضطلاع الإعلام الإسلامي بوسائله المختلفة في الانتصار للقرآن ، وبوسائل متنوعة تتناسب وحجم هجمة الحداثين وتلون أساليبهم.
- التركيز على دراسة صور الإلحاد اللفظي في الآيات الكريمات وتحريفها عن مواضعها في كتب الحداثيين دراسة محققة في رسائل علمية وأبحاث محكمة.

المصادر والمراجع:

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، محمّد بن محمّد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أساس البلاغة، الزمخشري، محمود بن عمرو، تحقيق: محمّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
- الإسلام والإيمان، شحرور، محمّد، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق — سوريا، ط١، ١٩٩٦م.
- الإشكالية المنهجية في الكتاب والسنة، المنجد، ماهر، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، بحوث مختارة، جامعة قطر، العدد الثامن، ١٤١٥هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمّد الأمين بن محمّد المختار، دار الفكر، بيروت،١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمّد الشيرازي، تحقيق: محمّد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي — بيروت، ط١ - ١٤١٨ هـ.
- ايقونات التطور علم أم خرافة، ويلز، جوناثان، ترجمة: موسى إدريس، محمّد ماحي، أحمد القاضي، مركز براهين — دار الكاتب للنشر والتوزيع، مصر — الإسماعلية، ط١، ٢٠١٤م.
- بؤس التلفيق، سمرين، يوسف، مركز دلائل، الرياض -السعودية، ط ٢، ١٤٣٩هـ .
- بيضة الديك، الصيداوي، يوسف، المطبعة التعاونية، جميع الحقوق محفوظة للمؤلف، دطت.
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، تحقيق: مجموعة من المحققين: دار الهداية.
- التأويل بين ضوابط الأصوليين وقراءات المعاصرين بايداوين، إبراهيم محمّد طه، رسالة الماجستير، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة القدس، ٢٠٠١م.
- تجفيف منابع الإرهاب، شحرور، محمّد، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق — سوريا، مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، بيروت — لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
- التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمّد الطاهر بن محمّد بن محمّد الطاهر، الدار التونسية للنشر — تونس، ١٩٨٤م.
- التحريف المعاصر في الدين، تسلل في الأنفاق بعد السقوط في الأعماق، الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٧م.
- تراث أبي الحسن الْحَرَالِّي المراكشي في التفسير مستخرج من نظم الدرر للبقاعي الحَرَالِّيُّ، عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ التُّجِيْبِيُّ، تقديم وتحقيق: محمادي الخياطي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي — الرباط، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م
- تفسير البحر المحيط، أبو حيان، محمّد بن يوسف، تحقيق : صدقي جميل، دار الفكر، بيروت،١٤٢٠ هـ.
- التفسِير البسيط، الواحدي، علي بن أحمد بن محمّد، حقق في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمّد بن سعود، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية. ط١، ١٤٣٠ هـ.
- تفسير الراغب الأصفهاني، الأصفهاني، الحسين بن محمّد، تحقيق ودراسة: د. محمّد عبد العزيز بسيوني وآخرون، كلية الآداب - جامعة طنطا وجهات أخرى، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، رشيد رضا، محمّد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠م.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ .
- تهذيب اللغة، الأزهري، محمّد بن أحمد الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمّد عوض المرعب، دار إحساء التراث العربي، بيروت — لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
- التيارات الفكرية والعقدية في النصف الثاني من القرن العشرين، الخالدي، محمّد فاروق، دار المعالي، عمان -الأردن، ط١ ١٤٢٣هـ،٢٠٠٢م .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، محمّد بن جرير بن يزيد، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمّد بن أحمد بن أبي بكر، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية — القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
- الحداثيون العرب وموقفهم من القرآن، ظاهرة الوحي أنموذجا، دراسة نقدية، إيمان أحمد الغزاوي مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، عمان، مجلد ٤٣، العدد ١، ٢٠١٦م.
- الخطاب القرآني والمناهج الحديثة في تحليله – دراسة نقدية– عاشور، صليحة، الجزائر، جامعة ورقلة، ٢٠١١م.
- الخلق والتسوية في القرآن الكريم الشابندر، غالب حسن، مقال في مجلة النبأ، شهرية تصدر عن المستقبل للثقافة والإعلام، بيروت –لبنان، العدد ٥٩، تموز ٢٠١١م .
- الدراسات الحديثة للقرآن الكريم من دعاوى التجديد إلى إثارة الشبهات، عبيدي، سعيد، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، العدد ٤، ٥، ٢٠١٧–٢٠١٨م.
- دراسات فلسفية، حنفي، حسن، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية د ط ت ينظر ص ٥٣٨،٥٢٩..
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي، محمود بن عبد الله الحسيني، تحقيق: علي عطية، دار الكتب العلمية . بيروت،١٤١٥ هـ.
- رؤى وآراء معاصرة دراسة نقدية، التوبة، غازي، مجلة البيان، الرياض، ط١ ١٤٢٤هـ –٢٠١٢م.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، الأنباري، أبو بكر محمّد بن القاسم، تحقيق: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢ هـ –١٩٩٢م.
- شحرور مفسدا لا مفسرا، فطاني، فوزي عبد الصمد، أوراق علمية (٦٣)، مركز سلف للبحوث والدراسات.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، إسماعيل بن حماد، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين — بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.
- صحيح وضعيف تاريخ الطبري، البرزنجي، محمّد بن طاهر، إشراف ومراجعة: محمّد حلاق، دار ابن كثير، دمشق — بيروت. ط١، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.
- العائد الحضاري والمعرفي في القراءة المعاصرة للقرآن الكريم عند محمّد شحرور، الحسن حما، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط – المغرب، ٢٠١٣م.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، تحقيق: محمّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م.
- الفروق اللغوية، العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، تحقيق: محمّد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة — مصر.
- فصوص الحكم، ابن عربي، محي الدين، تحقيق: أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت –لبنان.
- الفكر الأصولي واستحالة التأصيل أركون، محمّد، بيروت، دار الساقي ط١ ١٩٩٩ .
- القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير، كالو، محمّد محمود، رسالة دكتوراه، جامعة الجنان، طرابلس لبنان ٢٠٠٧م.
- القراءة الجديدة للقرآن الكريم بين المنهج الصحيح والانحراف السيء، الكبيسي، عيادة أيوب، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الإمارات، العدد ١١، صفر ١٤٣٩هـ– فبراير ٢٠٠٨م.
- القراءة الحداثية لقصّة نوح عليه السّلام في القرآن الكريم دراسة نقدية، فرج، الجازي، رسالة ماجستير، قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ٢٠١٧م.
- القراءة الحداثية للقرآن الكريم، محمّد أركون أنموذجا، بليمهوب، هند، رسالة دكتوراه، الجزائر، كلية الآداب واللغات والفنون قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة جيالي ليابس، سيدي بلعباس، ١٤٣٥/١٤٣٦م.

- القراءة المعاصرة لقصّة إبراهيم عليه السّلام في القرآن. دراسة نقدية، الدوسري، لبنى متروك، رسالة ماجستير، قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ٢٠١٨م.
- القراءة المعاصرة لقصّة يوسف عليه السّلام في القرآن الكريم، الشمري، حسن خليف، رسالة ماجستير، قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ٢٠١٨م.
- قراءة في ضوابط التأويل وأبعادها المنهجية في الدراسات القرآنيّة المعاصرة، العلواني، رقية طه جابر، بحث ألقي في ندوة دراسة التطورات الحديثة في الدراسات القرآنيّة المعاصرة بيروت ١١/١٢/ ٢٠٠٦.
- القرآن والسنة النبوية (الدكتور محمّد شحرور نموذجا)، الشربجي، محمّد يوسف، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، دمشق، مجلد ٢٣- العدد الأول -٢٠٠٧.
- القرآن وأوهام القراءة المعاصرة، عفانة، جواد، دار البشير، عمان — الأردن، ط١، ١٩٩٤م.
- قصص القرآن الكريم، عباس، فضل حسن، دار النفائس، عمان — الأردن، ط٣، ٢٠١٠م.
- القصص القرآني قراءة معاصرة، الجزء الأول، مدخل إلى القصص وقصّة آدم، شحرور، محمّد، دار الساقي، دمشق، مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، بيروت -لبنان، ط١، ٢٠١٠م.
- قضايا قرآنيّة في الموسوعة البريطانية نقد مطاعن ورد شبهات، عباس فضل حسن، دار البشير، عمان -الأردن ١٤٠٧هـ.
- كتاب العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، شحرور، محمّد، الأهالي للطباعة والنشر — دمشق — سوريا .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، دار الكتاب العربي — بيروت، ١٤٠٧ هـ.
- لسان العرب، ابن منظور، محمّد بن مكرم، دار صادر — بيروت، ط١.
- الماركسلامية والقرآن، المعراوي، محمّد صياح، المكتب الإسلامي بيروت، دمشق، عمان، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- مجمل اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦ هـ.
- محاسن التأويل، القاسمي، محمّد جمال الدين بن محمّد سعيد، تحقيق: محمّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٨ هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عطية، عبد الحق بن غالب، تحقيق: عبد السّلام محمّد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
- معالم التنزيل، البغوي، أبو محمّد الحسين بن مسعود، تحقيق: محمّد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م.
- معاني جعل في الإفراد والإسناد والاستعمال القرآني كاظم، خالد، وغازي، تومان، مجلة اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب جامعة الكوفة، العدد ١٢، ٢٠١١م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي، محمّد بن عمر بن الحسن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ.
- المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، الحسين بن محمّد، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق - بيروت، ١٤١٢ هـ.
- مفهوم الروح والنفس في ضوء آيات القرآن، دونر -نعيم، مجلة كلية الإلهيات، جامعة بينكول، تركيا، العدد ١١، ٢٠١٨م
- مفهوم القراءة عند الحداثيين وعلاقته بالتفسير مقال منشور في ملتقى أهل التفسير بتاريخ: ١٤٣٢/٦/٢٤هـ - ٢٠١١/٥/٢٧م، وأصله موضوع قدّم في ندوة وطنية نظّمت سنة ٢٠٠٩م بالمغرب، بتنسيق بين: المجلس العلمي المحلي بالمحمّدية، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمّدية، حول موضوع: (القراءات المعاصرة للقرآن الكريم).(يدقق)ممكن يحذف
- مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- المنطلقات الفكرية والحضارية لدى الحداثيين للطعن في مصادر الدين، المصري، أنس سليمان، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، عمان، مجلد ٤٢، العدد ١، ٢٠١٥م.
- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، القفاري، ناصر عبد الله، والعقل، ناصر عبد الكريم، دار الصميعي، الرياض، ط١ ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
- موسوعة بيان الإسلام للرد على الافتراءات والشبهات، نخبة من العلماء بإشراف داوود، محمّد محمّد، دار نهضة مصر.
- نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، شحرور، محمّد، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق – سوريا، ط١، ٢٠٠٠م.
- النزعة المادية في العالم الإسلامي، التل، عادل، دار البينة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٥م.
- نظرات شرعية في فكر منحرف، سليمان صالح الخراشي، روافد للطباعة والنشر بيروت لبنان ط١ ٢٠٠٨.
- نقد التفكير الديني، العظم، جلال صادق، دار الطليعة – بيروت، د ط ت.
- النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، الريسوني، قطب، وزراة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ط١ ٢٠١٠.
- نقض منهجية القراءة المعاصرة للنص القرآني عند المهندس محمّد شحرور، شريفة، عباس، منشورات رؤية للثقافة والإعلام.
- النكت والعيون، الماوردي، علي بن محمّد بن حبيب،تحقيق: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية - بيروت .

وجملة من المواقع الالكترونية على الشبكة العنكبوتية، أهمها:

- الموقع الرسمي لمحمّد شحرور https://shahrour.org/?page_id=9
- قناة الخليجية على اليوتيوب وعليها جميع حلقات برنامج النبأ العظيم، https://www.youtube.com/watch?v=nNLA36_8FkE.
- مقال الخلق والتسوية مجلة النبأ، غالب حسن الشابندر https://annabaa.org/nba59/tasuia.htm.
- صفحة محمد شحرور على الفيس بوك: https://www.facebook.com/Dr.Mohammad.Shahrour
- قناة صلاح أبو قاسم وعليها جميع حواراته مع شحرور: https://www.youtube.com/watch?v=QP8s5xPd-ec&feature=youtu.be
- قناة فراس المنير التي فيها تحويل أعمال شحرور أعمالاًكرتونية .https://www.youtube.com/watch?v=tY53Lb7xr
- قناة نزار حباب على اليوتيوب، برنامج القراءة المعاصرة لشحرور وعلى جميع حلقات البرنامج.-https://www.youtube.com/watch?v=9MfFA3hXiAE
- موقع موسوعة البيان لرد شبهات حول الإسلام. http://www.bayanelislam.net/Suspicion.aspx?id=01-04-(0005&value=&type

Abstract

Muhammad Shahrour and his Contemporary Reading of Qur'an Narrative: The Creation and Selection of Adam as a Model (Presentation and Critic)

This study aimed to advocate the Nobel Qur'an by giving a critic of the contemporary reading for Qur'an narrative at Muhammad Shahrour; reveal the systematic mistakes and scientific distortion; and to refute what is presented of some problematic issues; and to discriminate between what is claimed as motors of renewal and enlightenment from one hand and the distorted agenda of false doctrines and dead theories abundant by its advocates. This was achieved by presenting some models of the writer's contemporary readings of Adam story, which is based on his creation and selection.

The study concluded with some results, the most important included:

- Shahrour claimed that Allah descendent is clear in refuting the sudden creation of Adam while supporting what he adopted of that there are three stages in human creation: manhood, epidermal, following a kind of verbal atheism in distorting the meanings of some words in creation Ayat, amending them as a means to verify his claims. He also made a mistake in discriminating between man and humans by inferring humans Ayah based on savagery, lack in mind and their prevalence before humans while reading nonexistent text inferring in both Al-Mou'mnon and Al-Haj sorat that there are long time periods between these creation stages.
- The writer adopted weak arguments that were refunded by evident which are that the selection of Adam was favoring and selecting him compared to other human groups. In this sense, Adam is the father of man not humans; that he is not a prophet, but that he and his descendants were not Muslims. He also claimed that the principals of Islam started from Noah period; that Adam is not a male human, but that he is a human group entailing both male and female. He claimed that the origin of man is human, and that manhood was referred by using some words such as Adam, man, human is only an intermediate stage between two extreme points, a type of settlement between the end of savagery stage and the start of a human one. All of these indicate to adjustment and adaptation with the outer milieu and that the mate of Adam is not a female, which is Eve, but instead it is a human group called Neanderthal learned from Adam group the thinking man and it was gene sized after long walls.
- By an innovative reading for creation Ayah the writer claims that recording Allah descendants is a form of change in the nature of human movement by a divine interference when giving man spirit and the continuous of such possess for a long period. Tracing both spirit and soul Ayat, it can be seen that there is no relationship between soul and giving life to the body. As such, the soul in Adam's story is not the secret of life, but it is the secret of humanity which is a perceptual cognitive mutation a companying the biological development turning s savage human to a social man.

Keywords: Muhammad Shahrour, Qur'an Narrative, Contemporary Reading.